

دروس رمضان

شهر القرآن - والإيمان - والتقوى

جمع وإعداد
د/ عبد العزيز بن إبراهيم بن علي البليهد

مؤسسة الجليري للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى لمؤسسة الجليمي

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

حقوق الطبع محفوظة للناسر

رقم الإيداع:	٢٠١٥/١٤١٣٠
الترقيم الدولي:	I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٣٠-٠١-٠

مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

٨١ شارع البستان (عبد السلام عارف سابقًا)

تقاطع شارع الجمهورية- عابدين- القاهرة

هاتف: ٠١١١٩٩٠٣٨٣٥-٠١٠٠٦٧٥٦٧٣٩-٢٣٩٣٥١٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن من نعم الله - تعالى - علينا التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى أن هَيَّاَ لنا أمر عبادته، وأرشدنا إلى طريق طاعته، فما من خير إلا ودلَّنَا عليه، وما من شر إلا وحذَّرْنَا منه.

وإنَّ من النعم العظيمة على هذه الأمة أن امتنَّ عليهم بصيام شهر رمضان المبارك، وجعله موسمًا عظيمًا للطاعات، يعظم الله فيه الأجر، ويجزل العطايا، ويفتح أبواب الخير فيه لكل راغب، فهو شهر الخيرات والبركات، شهر المنح والهبات، شهر محفوف بالرحمة والمغفرة والعق من النار.

وقد اشتمل هذا الشهر الكريم على أفضل الطاعات؛ من صلاة، وصيام، وزكاة، وتلاوة للقرآن، وسائر وجوه البرِّ، وجُعِلَت العمرة فيه تعدل حجة مع النبي ﷺ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانٍ الْأَنْصَارِيَّةِ: مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟ قَالَتْ: أَبُو فَلَانٍ تَعْنِي زَوْجَهَا، كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ؛ حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا. قَالَ: «فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً». (١) وينبغي للعبد أن يشكر نِعَمَ اللَّهِ ﷻ على هذا الشهر الكريم؛ وذلك بصيامه على أكمل وجه، كما صامه النبي ﷺ وصحابته إيمانًا واحتسابًا.

ومن أجل هذه الغاية، جمعت هذه الكلمات؛ لتكون دليلًا للمسلم إلى حُسْنِ صيام هذا الشهر إيمانًا واحتسابًا، كما حثنا على ذلك رسول الله ﷺ.

فاللهم بلغنا رمضان أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة، آمين.
وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أبو إبراهيم

عبد العزيز بن إبراهيم البليهد

(١) أخرجه البخاري (١٦٩٠)، ومسلم (١٢٥٦)، واللفظ له.

[١]

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان، فقال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له» (١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غيبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» (٢).

الصوم برؤية الهلال:

قال ابن القيم في «زاد المعاد»: «وكان من هدية ﷺ ألا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على خبرهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة».

وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا، ثم صامه، ولم يكن ﷺ يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غُم، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله وهذا أمره، ولا يناقض هذا

(١) متفق عليه: البخاري ١٩٠٦، ومسلم: ١٠٨٠.

(٢) متفق عليه: البخاري ١٩٠٩، ومسلم: ١٠٨١.

قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له»، فإن القدر هو الحساب المقدر، والمراد به هو الإكمال؛ كما قال ﷺ: «فأكملوا العدة»، إكمال عدة الشهر الذي غم، كما قال في الصحيح الذي رواه البخاري: «فأكملوا عدة شعبان». وقال: «لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة». والذي أمر بإكمال عدته هو الشهر الذي يُغَمُّ، وهو عند صيامه وعند الفطر منه، وأصرح من هذا قوله ﷺ: «الشهر تسعة وعشرون، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة».

النهي عن صيام يوم الشك:

إذا لم يُرَ الهلال ليلة الثلاثين مع الصحو، لا يصوم المسلمون وجوباً؛ لأنه يوم الشك المنهي عن صومه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيُصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ» (١).

وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشُكُّ فِيهِ النَّاسُ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ». (٢)

(١) أخرجه البخاري (١٨١٥)، ومسلم (١٠٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٦٨٦)، والنسائي (٢١٨٨) وصححه الألباني.

وتثبت رؤية هلال شهر رمضان بشهادة مسلم مكلف عدل،
 عبدًا كان أو حرًّا، ذكرًا كان أم أنثى؛ لما ثبت عن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ
 جَاءَ أَعرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْهَلَالَ - قَالَ الْحَسَنُ
 فِي حَدِيثِهِ يَعْنِي رَمَضَانَ - فَقَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؟ قَالَ:
 نَعَمْ. قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «يَا
 بِلَالُ أَدِّنْ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا غَدًا». (١)

* توحيد الصوم:

لا شك أن توحيد المسلمين في صومهم كما يتوحدون في
 حجهم أمرٌ محبوب للنفس يدعو إلى القوة والوحدة والألفة
 وعدم الاختلاف ونبذ الخلاف، ولكن إذا حدث واختلفت
 البلاد في الرؤية، فقال الشيخ ابن باز رحمه الله: فعلى المسلمين
 في كل بلد أن يصوموا مع قادتهم درءًا للفتنة ودفعًا للخلاف.
 نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلًا، وأن
 يتقبل منا الصيام، والقيام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
 العالمين.



(١) أخرجه أبو داود (٢٣٤٠)، والترمذي (٦٩١)، وقال الحافظ ابن
 حجر في «بلوغ المرام» (١/ ١٣١): صححه ابن خزيمة وابن حبان.

[٢]

رمضان شهر القرآن

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فلقد ارتبط رمضان في حياة المسلمين بالقرآن، وهو سمة من سماته المباركة، وكان نبينا ﷺ يعرض القرآن على جبريل مرة في كل عام في رمضان، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان النبي أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.

وجعل الله الخيرية للأمة في تعلمه وتعليمه، فقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (١).

فكيف الحال إذا جمع بين شرف الذكر وشرف الزمان، بين

(١) رواه البخاري (٤٧٣٩).

الصيام والقرآن تلازم وترابط، ففي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة».

والناس في رمضان يعقدون الدورات والمنافسات في الملاعب والملاهي، فلماذا لا تُعقد منافسات حول كتاب الله ﷻ تلاوة وتفسيرًا وتعلمًا، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾.

فقد كان من السلف من يختم في رمضان في كل ليلة ختمة، وفي كل يومين ختمة، وكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة الوتر في جوف الكعبة، وكان للشافعي ستون ختمة في رمضان، ومنهم من كان يحمل بين رجلين لكبر سنه، فإذا وقف في الصف افتتح بالبقرة فلا يركع حتى يبلغ سورة العنكبوت وهو ما يقرب من واحدٍ وعشرين جزءًا.

والسنة كما قال النبي ﷺ: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» (١).

ولكن البكاء على قصور الهمم، فما وهن العظم، وضعف الجسم إلا بذنوبنا، والله المستعان.

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو.

فما أعظم أن نتعبد لله في شهر رمضان بكلامه وذكره،
فالحسنة فيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف؛ قال ﷺ: «لا
أقول «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم
حرف». رواه الترمذي.

فَرَوْضَ نَفْسِكَ وَلِسَانِكَ عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِهِ،
بدلاً من أن تشغل بالكلام الذي لا يفيد، فقد كان الربيع بن
خُثَيْم يقول: لا خير في كلام الناس إلا قراءة القرآن والذكر
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي
كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [النساء: ١١٤]. فإن
النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

رمضان والدعاء:

إن الله تعالى فضل أمكنة وأزمنة وحالات على غيرها، وإن
من فقه العبد أن يأتي بما فضل الله فيما فضل الله، أي الإكثار من
الدعاء في رمضان، فمن أفضل الدعاء وأشرفه أن يكون في
رمضان، لا سيما إذا كان في ليلة القدر، ففي البخاري عن عائشة
أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرايت إن علمت
أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو
تحب العفو فاعف عني».

وذكر ابن رجب الحنبلي في اللطائف: «وقد كان النبي ﷺ يتعهد في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقرآن والدعاء والتفكير، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها».

وهناك علاقة وثيقة بين الصيام والدعاء، فالله جعل آية الدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ بين آيات الصيام، وجعل دعوة الصائم لا ترد، كما جاء في الحديث، وللدعاء منزلة عظيمة في الشرع، فهو العبادة كلها؛ لقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة». رواه أحمد وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير، فهو العبادة كلها لما جمع العبد حال دعائه أنواعاً من العبادات من حضور القلب والتوجه إلى الله والقصد والرغبة والرغبة وعبادة البدن.

فبالدعاء كم كشف الله من الغم وأزاح من الهم، وأعز من بعد ذل، وأغنى من بعد فقر، والنبي ﷺ يقول: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء». وفي حديث ابن عباس في السنن مرفوعاً: «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة». وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[٣]

فضائل شهر رمضان

لا شك أن شهر رمضان شهرٌ عظيم مبارك، جعله الله موسمًا للخيرات، وزادًا للتقوى والبركات، اختصه الله - سبحانه - بنزول القرآن في ليلة هي خير من ألف شهر، وافترض علينا صيامه، وسنَّ لنا رسول الله ﷺ قيامه.

وهو معلّم مهم في تربية النفس، ففيه من العبادات والأعمال الصالحة ما يجعل النفوس تنقاد إلى رب العالمين، فتزكو النفوس، وتطهر القلوب، وتعيش الأرواح أجواءً إيمانية مفعمة بالبركات والرحمات..

* فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النيران :

فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءٌ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ لَيْلَةٍ». (١)

وإنما تُفتح أبواب الجنة في هذا الشهر؛ لكثرة الأعمال

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢) وصححه الألباني.

الصالحة، وترغيباً للعاملين، وتُغلق أبواب النار لقلّة المعاصي من أهل الإيمان، وتُصفّد الشياطين، فتُغلّ فلا يخلّصون إلي ما يخلصون إليه في غيره من الأيام والشهور.

* كثرة أبواب المغفرة:

تكثر في رمضان فرص العبد لنيل مغفرة الله سبحانه، وقد ذكر النبي ﷺ بعض الأعمال الجليلة التي ينال بها العبد مغفرة ذنوبه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١)، وزاد الإمام أحمد في مسنده (٢): «وما تأخر»، قال الحافظ ابن حجر: «قَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ أَيْضًا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ وَجْهَيْنِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ». (٣)

وبَيَّنَّتْ هذه الأحاديث أن للمغفرة شرطين؛ الإيمان بالله سبحانه والإخلاص له واحتساب الأجر عنده، قال الحافظ ابن حجر: «قوله (احتساباً)؛ لأن الصوم إنما يكون لأجل التقرب إلى الله، والنية شرط في وقوعه قربة، أي: مؤمناً محتسباً، والمراد

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٧١٣).

(٣) فتح الباري (١٣٨/٤).

بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى، وقال الخطابي: (احتساباً) أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه». (١)

فمن صام إيماناً بالله، وحقه في التشريع، وإيماناً بالرسول المبلّغ عن الله أمره، وإيماناً بمعية الله للعبد واطلاعه عليه في صومه وفطره، ورضاً بفرضية الصوم عليه، واحتساباً لثوابه وأجره عند الله، ولم يكن كارهاً لفرضه، ولا شاكاً في ثوابه وأجره، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه.

وكذا قيام ليالي رمضان، وشغلها بالصلاة سبب للفوز بمغفرة الذنوب، فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». (٢)

ومن أجل أسباب المغفرة في رمضان قيام ليلة القدر، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». (٣)

(١) فتح الباري (٤/١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٥٩).

ومن أبواب المغفرة في شهر رمضان أن يمدَّ الله في عُمر العبد حتى يبلغه شهر رمضان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ». (١)

* أجر الصيام بلا حساب:

ومن فضائل الصوم: أن الصائم يُعطى أجره بغير حساب، لا يتقيد بعدد معين، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُصَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَیْهِ السَّلَامُ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفٌ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ». (٢)

وما أروع قوله: «فإنه لي وأنا أجزي به»، فلما كان الصيام عبادةً خالصة بين العبد وربّه، تتجلى فيها المراقبة والإحسان، جازى الله عبده بأن أبهم الأجر وأخفى الجزاء؛ كناية عن عظمتها وجلال قدره، فما أكرم الله حين يعطي سبحانه وتعالى.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١١٥١).

* الصيام يشفع للعبد يوم القيامة:

ومن فضائل الصوم أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّيَّامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَّامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ». (١)

وشهر رمضان فرصة عظيمة، فمن اغتنمها فأكثر من الصيام وتلاوة القرآن، شفعت له هذه العبادات يوم القيامة، فيقبل الله شفاعتهما ويغفر لعبده ويدخله الجنة.

* الصيام يباعد العبد عن النار ويدنيه من الجنة:

كل من يصوم يوماً في سبيل الله يباعد الله وجهه عن النار، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً». (٢)

وإكراماً للصائمين جعل الله لهم باباً خاصاً بهم في الجنة،

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٦٢٦)، وصححه الألباني في صحيح

الجامع: ٣٨٨٢، وصحيح الترغيب ٩٨٤.

(٢) أخرجه مسلم (١١٥٣).

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ» (١).

ويا لها من كرامة خاصة بالصائمين، لا يدخل من هذا الباب سواهم.

وختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبل منا الصلاة والزكاة والصيام والقيام والصدقات وصالح الأعمال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم (١١٥٣).

[٤]

الحكمة من صيام شهر رمضان

إن من أهم الحِكَم التي شُرِع من أجلها صيام رمضان ما يلي:

١- تربية النفس على التقوى:

تدريب النفس على تحقيق التقوى والخوف من الله سبحانه وتجنب مساخطه، والالتزام بطاعته من أسمى أهداف فريضة الصيام، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٢- تربية النفس على التوبة:

عبر عام طويل يحمل العبد على ظهره من الذنوب والمعاصي ويقع في مخالفات كثيرة، والذنوب تميت القلوب، وغبارها يركم الأنوف، وإذا اعتاد العبد على الذنب استسهله وخاض في غماره، فيظلم قلبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَّكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سَقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] (١).

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٤) وابن ماجه (٤٢٤٤) وحسنه الألباني.

وسواد القلب- عيادًا بالله- ينعكس على الجوارح، فتسيء الأفعال، وترتكب القبائح، قال الشيخ مصطفى العدوي: «السواد على القلب يمنع الإيمان ونور الإيمان من الخروج من القلب إلى الصدر، فتجد الصدر مظلمًا، كما أن المشكاة تكون مظلمة إذا كانت الزجاجة سوداء، فتجد اليد تتحرك في ظلمة، والرجل تخطو في الظلمات، والعين تنظر في الظلمات، وهكذا يتحرك كبهيمة عمياء إذا كان القلب قد اسود من المعاصي». (١)

٣- تربية النفس على العفو والصفح:

من الأمور التربوية التي يجب أن يخرج بها العبد من رمضان أن يتعد عن أذى الناس، ويسلم المسلمون من لسانه ويده، فلا ينبغي للعبد أن يصوم رمضان وهو واقع في الغيبة والنميمة والسب والشتم والكذب وهي معاصٍ يجب الحذر منها واجتنابها من الصائم وغيره؛ إذ إنها تجرح الصوم وتُضعف الأجر؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (٢)، ولقوله ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا

(١) سلسلة التفسير للشيخ مصطفى العدوي (٥/٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧١٠).

يَصْخَبُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ» (١)

وإن مما يستجلب العبد عفو الله عنه بعفوه عن الناس، ولين الجانب معهم، وخفض الجناح لهم، فعن عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي). (٢)

٤- الشعور بوحدة الأمة:

من الأمور التربوية في رمضان هو الشعور بوحدة الأمة وجماعية الطاعة، فلو أن الله تعالى كلّف كل واحد منا بصيام ٣٠ يوماً وحده وقيام ٣٠ ليلة منفرداً عمن حوله، لوجد صعوبة كبيرة وكان هذا العمل فيه مشقة عظيمة، ولكن من رحمة الله تبارك وتعالى بالأمة أن جعل الطاعة جماعية، ففي رمضان يصير الغالب على المجتمع حرصه على الصيام مع أعمال الطاعة والخير والبر، فالمساجد تمتلئ، وأعمال البر والصدقات يتسابق فيها المتسابقون، والأخلاق السمحة تُفرض نفسها، والكل يقرأ القرآن ويجلسون في المساجد، وما ذلك إلا بما أودعه الله في هذا الشهر من بركات، وتيسيره للناس سبل الخير عن غيره من الشهور.

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٥)، ومسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، و«صحيح الجامع» للألباني (٤٤٢٣).

[٥]

الآداب الواجبة للصائم

نذكر ببعض الآداب التي ينبغي تذكير الصائم بها.. وهي تتعلق بمأكله ومشربه وأفعاله وأقواله:

أولاً: الآداب الواجبة:

١- أن يقوم الصائم بما أوجبه الله عليه من العبادات القولية والفعلية، والحرص على سلامة العقيدة من الشرك، وأداء الصلاة في وقتها بشروطها وأركانها وواجباتها مع الجماعة في المسجد، فلا ينبغي لمسلم أن يصوم وهو تارك للصلاة.

٢- أن يجتنب الصائم جميع ما حرّم الله ورسوله ﷺ من الأقوال والأفعال، مثل الكذب، والغيبة والنميمة، وأن يتجنب قول الزور والعمل به، فلا ينبغي للصائم أن يقع في الغيبة والنميمة والسب والشتم والكذب وهي معاصٍ يجب الحذر منها واجتنابها من الصائم وغيره؛ إذ إنها تجرح الصوم وتضعف الأجر؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (١).

(١) أخرجه البخاري (٥٧١٠).

٣- معرفة أحكام الصيام؛ حتى لا يقع المسلم فيما يُفسد صومه، وهو لا يدري، فينبغي للمسلم أن يسأل أهل العلم عما يُشكل عليه من أحكام الصيام.

٤- إخراج زكاة الفطر: وقد فرضها الله تعالى في رمضان صاعاً من طعام الأدميين من تمر أو بُرّ (قمح أو طحين) أو أرز أو شعير أو زبيب أو أقط (هو اللبن المجفف) أو غيرها، ففي الصحيحين عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ». (١)

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤).

الآداب المستحبة للصائم

١- العزم على التنافس في الخيرات:

فيستقبل المسلم رمضان بنية أن يصومه إيماناً واحتساباً، وأن يفتح في أول ساعة منه صفحة جديدة في سجل أعماله، ومعه العزم الأكيد على التزوّد فيه بصالح الأعمال؛ إذ إن من أدركه رمضان ولم يغفر له فقد خاب وخسر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يُغفر له». (١)

٢- شكر نعمة بلوغ الشهر:

عندما يهل هلال رمضان يستشعر العبد نعمة الله عليه بأن مدّ في عمره وبلغه رمضان، فإذا رأى هلال رمضان فقل كما علمنا رسول الله ﷺ: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله». (٢)

٣- تأخير السحور:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: «تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَامَ

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، وصححه الألباني.

إِلَى الصَّلَاةِ قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسَّحُورِ؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً» (١).

٤- تعجيل الفطر:

السُّنَّةُ عَدَمُ تَأْخِيرِ الْفِطْرِ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ» (٢).

والسنة أن يفطر على رطبات؛ فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء، كما في الحديث الصحيح؛ فعن أنس بن مالك قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسًا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ (٣)، فإذا صلى المغرب تناول حاجته من الطعام.

٥- الدعاء عند الإفطار:

يُستحب للعبد أن يكثر من الدعاء أثناء الصوم وعند الإفطار؛ لأنه من الأوقات التي يُرَجَى فيها إجابة الدعاء، فعن أنس رضي الله عنه

(١) أخرجه البخاري (١٩٢١)، ومسلم: (١٠٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٦٥) وصححه الألباني.

قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا تُردُّ: دعوة الوالدِ لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر». (١)

٦- تذكّر نعمة الله وفضله وتوفيقه:

وذلك بأن يستحضر الصائم نعمة الله -تعالى- عليه إذ مكّنه من الصيام، ووفقه له وأتمه عليه، فإن كثيراً من الناس حُرّموا الصيام إما بموتهم قبل حلول الشهر، أو بعجزهم عنه لمرضٍ أو غيره، أو بضلالهم وإعراضهم عن القيام به، فليحمد الصائم ربه على نعمة الصيام التي هي سببٌ لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، ورفع الدرجات في دار النعيم.

٧- شهر رمضان موسم جد لا كسل:

فلا يجعل المسلم شهر الصوم شهر فتور وكسل، فهو شهر جَلَدٍ وصبر، يتسلح فيه المؤمن بقوة الإرادة، فينشط إلى العمل والكفاح.

والمأمل في تاريخ المسلمين يجد أن الغزوات الكبرى بدءاً من غزوة بدر وفتح مكة، وعين جالوت، وغيرها من الحروب المؤثرة الكبرى كانت في شهر رمضان، فلم يكن الصوم مانعاً من

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦١٨٥)، والضياء في المختارة (٢٠٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٢).

تحقيق إنجازات كبرى في حياة المسلمين، ولكننا حولناه إلى شهر نوم وكسل وترك للعمل، فهل هذا ما يدعو إليه الصيام؟!

٨- الحرص على قيام رمضان:

قيام رمضان «صلاة التراويح» عبادة جليلة، وسُنَّة مؤكدة، وتُسَنُّ فيها الجماعة، وله ميزة وفضيلة عن غيره في أي وقت آخر؛ لقوله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». (١)

وهي إحدى عشرة ركعة، وكان السلف-رضوان الله عليهم- يطيلونها، فكان القارئ يقرأ بالمئين من الآيات في الركعة حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، ويجب أن تؤدَّى بهدوء وطمأنينة، وعلى المأموم أن لا ينصرف حتى ينتهي الإمام من صلاة الوتر ليحصل له أجر قيام الليل كله، لقوله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ». (٢)

ويجوز للنساء حضور صلاة التراويح في المساجد.

٩- الإكثار من أعمال البر:

يستحب اغتنام أيام شهر رمضان ولياليه في الأعمال

(١) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٧٥) والترمذي (٨٠٦) وصححه الألباني.

الصالحة، والإكثار من تلاوة القرآن وذكر الله، والدعاء والصدقة، وسائر ما يحبه الله ويرضاه، وهكذا كان هدي النبي ﷺ في رمضان، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ جَبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» (١).

وكان جوده ﷺ يجمع أنواع الجود كلها؛ من بذل العلم والنفس، والمال لله ﷻ في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع لهم بكل طريق؛ من تعليم جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وإطعام جائعهم، وكان جوده يتضاعف في رمضان؛ لشرف وقته، ولمضاعفة أجره، وإعانة العابدين فيه على عبادتهم، والجمع بين الصيام وإطعام الطعام. لذا ينبغي علينا أن نقدم الخير للآخرين ما استطعنا.

١٠- العمرة:

للعمره فضل كبير في شهر رمضان؛ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانٍ الْأَنْصَارِيَّةِ: مَا

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟ قَالَتْ: أَبُو فَلَانٍ تَغْنِي زَوْجَهَا، كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ؛ حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرَ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا. قَالَ: «فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَأَعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً». (١)

فزيارة بيت الله الحرام في هذا الشهر المبارك - لمن يستطيع - عملٌ عظيم، يعدل ثواب حجة مع النبي ﷺ، فيا له من أجر عظيم يغفل عنه كثير من المسلمين!!

١١- تجنب الإفراط في الأكل والشرب:

إن من حكمة الصوم: التخفيف عن المعدة في الطعام والشراب، فإن البطنة وامتلاء البطن أصل الداء، والحمية وتقليل الطعام والشراب أصل الدواء، عن الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقْمَنَ صَلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثُ طَعَامٍ فَثُلُثُ طَعَامٍ وَثُلُثُ شَرَابٍ وَثُلُثُ لِنَفْسِهِ». (٢)

فمن آداب الصيام: الاقتصاد في الطعام والشراب، وعدم الإفراط فيهما، خاصة مع تنوع صور الأطعمة.. حتى صار شهر رمضان موسماً استهلاكياً ضخماً في حياة المسلمين.

(١) أخرجه البخاري (١٦٩٠)، ومسلم (١٢٥٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وصححه الألباني.

بعض الحكم الظاهرة لتشريع الصيام وفرضه

١ - الصوم عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه؛ بترك محبوباته المجهول على محبتها من الطعام والشراب والنكاح؛ لينال بذلك رضى ربه والفوز بدار كرامته، فيتبين بذلك إثارة لمحبوبات ربه على محبوبات نفسه وللدار الآخرة على الدار الدنيا. (١)

٢ - الصيام سبب للتقوى إذا قام الصائم بواجب صيامه، فالتقوى هي الغاية الكبيرة من الصوم؛ فالصائم مأمور بتقوى الله ﷻ، وهي امتثال أمره واجتناب نهيه، وهذا هو المقصود الأعظم بالصيام، وليس المقصود تعذيب الصائم بترك الأكل والشرب والنكاح.

إن المؤمنين المخاطبين بالقرآن العظيم يعلمون مقام التقوى عند الله، وقدرها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، والصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها؛ فالتقوى هي التي توقظ القلوب الشاردة لتؤدي هذه الفريضة طاعةً لله، وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تدفع العبد ليحرس صومه لئلا يفسده بالمعصية.

(١) مجالس شهر رمضان ص ٨١-٨٢.

٣- الصيام تربية لنفس المسلم، وتهذيب لأخلاقه، وتقويم لسلوكه، إذا راعى العبد آدابه وسننه وأحكامه أثر تأثيراً بالغاً فيه، ويظهر ذلك في عباداته وأخلاقه وسلوكه ومعاملاته.

٤- الصوم هو مجال تقرير الإرادة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه استعلاء على ضروريات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها، وهذه كلها عناصر لازمة في إعداد النفوس واحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تتناثر على جوانبه الرغبات والشهوات، فالصوم أعظم طريق لإذلال النفس، والسيطرة عليها، والتدرب على ضبطها، وقيادتها، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» (١)؛ فالشاب الذي لا يملك القدرة على نفقات الزواج عليه بالصوم؛ إذ إنه يكبح شهوات نفسه؛ وقد فهم السلف هذا الأمر جيداً؛ فكان أحدهم إذا أراد أن يعاقب نفسه على ذنب؛ كان يعاقبها بالصيام، ولفترات طويلة من السنة.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٨)، ومسلم (١٤٠٠).

إن الصوم يمكن الإنسان من قيادة نفسه لما فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة، ويبعده عن أن يكون عبداً لشهواته لا يتمكن من منع نفسه عن لذاتها وشهواتها.

٥- ومن حِكَم الصيام: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه؛ بما يَسِّر له الحصول على ما يشتهي من طعام وشراب ونكاح، فيشكر ربه على هذه النعمة، ويتذكر الفقير الذي لا يتيسر له الحصول على ذلك، فيجود عليه بالصدقة والإحسان.

٦- ومن تلك الحِكَم: أن نستشعر حال إخواننا المستضعفين والمشردين والمنكوبين، في كل مكان، الذين يُهَجَّرُونَ من ديارهم، فيخرجون إلى العراء جوعى هلكى لا يجدون ما يسترهم، ولا ما يسد رمقهم.

٧- ومنها: ما يحصل من الفوائد الصحية الناتجة عن تقليل الطعام وإراحة الجهاز الهضمي لفترة معينة، وكذلك ليتخلص الجسم من الفضلات الضارة المترسبة في الجسم، وغير ذلك.

ومع هذه التأملات السريعة في بعض الحِكَم الظاهرة لتشريع الصيام وفرضه، إلا أنه ينبغي التأكيد على أن العبد يتلقى الأوامر الشرعية سامعاً مطيعاً، ويسارع إلى العمل بها بعد التأكد من

ثبوتها، سواء عِلِمَ الحكمة أم لم يعلمها، ولا يطلب معرفة الحِكم الغائية من كل عبادة، فإن اتضحت الحكمة من العبادة فهي نور على نور، وإن لم تظهر الحكمة فيسارع العبد إلى الاستجابة لله والرسول، ويبادر إلى العمل الصالح، وهو موقن أن لله الحجة البالغة والحِكم العظيمة من وراء أي تكليف شرعي.

حكم صيام المريض الذي يرجى برؤه

إن صيام المريض الذي يرجى برؤه له ثلاث حالات:
 ١- أن لا يشق عليه الصوم، ولا يضره: فيجب عليه الصوم؛
 لأنه ليس له عذر يبيح الفطر.

٢- أن يشق عليه الصوم، ولا يضره: فيفطر لقوله تعالى:
 ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾
 [البقرة: ١٨٤].

ويكره له الصوم مع المشقة؛ لأنه خروجٌ عن رخصة الله ﷻ
 وتعذيب لنفسه، وفي الحديث «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ،
 كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ» (١).

٣- أن يضره الصوم: فيجب عليه الفطر، ولا يجوز له
 الصوم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ
 رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ولقوله ﷺ: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» (٢)،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٠٣٠)، وأبو نعيم في الحلية
 (١٠١/٢)، والبزار كما في كشف الأستار (١/٩٩٠)، وصححه
 الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٨٥).
 (٢) أخرجه البخاري (١٨٦٧).

ومن حقها أن لا تضرها مع وجود رخصة من الله تعالى، ولقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» (١).

وإذا حدث له المرض في أثناء رمضان وهو صائم وشقَّ عليه إتمامه جاز له الفطر؛ لوجود المبيح للفطر، وإذا برئ في نهار رمضان وهو مفطر لا يصح أن يصوم ذلك اليوم؛ لأنه كان مفطرًا في أول النهار.

إذا ثبت بالطب أن الصوم يجلب المرض أو يؤخر برؤه؛ جاز له الفطر محافظةً على صحته، واتقاء للمرض.

فإن كان يُرجى زوال ذلك الخطر، انتظر حتى يزول، ثم يقضي ما أفطر، وإن كان لا يُرجى زواله، فهذا يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا.

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦٧)، وابن ماجه (٢٣٤١) وصححه الألباني.

حكم صيام الحائض والنفساء

يحرم عليهما الصيام، ولا يصح منهما؛ لقول النبي ﷺ في النساء: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ. قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا». (١)

وإذا ظهر الحيض منها وهي صائمة ولو قبل الغروب بلحظة بطل الصيام ولزمها قضاء ذلك اليوم. وإذا طهرت من الحيض أثناء النهار لم يصح صومها بقية اليوم. وإذا طهرت في الليل في رمضان ولو قبل الفجر بلحظة؛ وجب الصوم، لأنها من أهل الصيام، وليس فيها ما يمنعه، ويصح صومها حينئذ ولو لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر.

ويجب على الحائض والنفساء قضاء ما أفطرته من أيام شهر رمضان، عَنْ فَعْنٍ مُعَاذَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨)، ومسلم (٨٠).

الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحْرُورِيَّةٌ
أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرْوَرِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: «كَانَ يُصَيِّنَا
ذَلِكَ فَنُؤْمِرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمِرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ». (١)

وإذا كانت المرأة حاملاً أو مرضعاً، وخافت على نفسها أو
ولدها؛ فإنها تفطر؛ لحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول
الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَجْعَلُ وَضْعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ
الْمُسَافِرِ وَالْحَامِلِ وَالْمَرْضِعِ الصَّوْمَ أَوْ الصِّيَامَ». (٢)
وعليها القضاء بعدد الأيام التي أفطرت حين يتيسر ذلك،
ويزول عنها الخوف كالمریض إذا برئ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٣٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٠٦٩) وابن ماجه (١٦٦٧) وصححه الألباني.

من احتاج إلى الفطر لدفع ضررٍ عن غيره

كإنقاذ مسلم من غرق أو حريق أو هدم أو نحو ذلك، ولا يمكنه إنقاذه إلا بالتقوي عليه بالأكل والشرب؛ جاز له الفطر، بل وجب عليه الفطر حينئذ؛ لأن إنقاذ المعصوم واجب، ويلزمه قضاء ما أفطره.

ومثل ذلك من احتاج إلى الفطر للتقوي على الجهاد في سبيل الله، سواء كان ذلك في السفر أو في بلده، وعليه أن يقضي بعد ذلك.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ»، فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مُصِيبُ عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا»، وَكَانَتْ عَزْمَةً فَأَفْطَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَصُومُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ. (١)

ففي هذا الحديث إيماءٌ إلى أن القوة على القتال سببٌ

(١) أخرجه مسلم (١١٢٠).

مستقل غير السفر؛ لأن النبي ﷺ جعل علة الأمر بالفطر القوة على قتال العدو دون السفر، ولذلك لم يأمرهم بالفطر في المنزل الأول.

وكل من جاز له الفطر بسبب مما تقدم؛ فإنه لا يُنكر عليه إعلان فطره؛ إذا كان سببه ظاهرًا كالمريض والكبير الذي لا يستطيع الصوم، أما إذا كان سبب فطره خفيًا كالحائض فإنه يفطر سرًا ولا يعلن فطره؛ لئلا يجزَّ التهمة إلى نفسه، ولئلا يغتر به الجاهل، فيظن أن الفطر جائز بدون عذر.

قضاء رمضان:

كل من لزمه القضاء يقضي بعدد الأيام التي أفطرها، والأولى المبادرة بالقضاء من حين زوال العذر؛ لأنه أسبق إلى الخير وأسرع في إبراء الذمة، ويجوز تأخيره إلى ما قبل رمضان الثاني، ولا يلزم فيه التتابع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، يعني فعليه عدة من أيام أخر، ولم يقيد بها الله تعالى بالتتابع ولو قيدت بالتتابع للزم من ذلك الفورية، فدل هذا على أن الأمر فيه سعة. (١)

(١) الشرح الممتع (٦/٤٤٩).

ولا يجوز تأخير القضاء إلى رمضان الثاني بدون عذر،
ودليل ذلك:

١ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَهُ إِلَّا فِي شَعْبَانَ»^(١)، فقولها: «ما أستطيع أن أقضيه» دليل على أنه لا يؤخر إلى ما بعد رمضان؛ لأنها لا تستطيع أن تؤخره إلى ما بعد رمضان، والاستطاعة هنا هي الاستطاعة الشرعية. (٢)

٢ - أنه إذا أخره إلى بعد رمضان صار كمن أخر صلاة الفريضة إلى وقت الثانية من غير عذر. (٣)

وإذا أخره بدون عذر كان آثماً، وعليه القضاء فقط، وليس عليه إطعام؛ لضعف الأدلة في ذلك، وظاهر الآية ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أن الله تعالى لم يوجب إلا عدة من أيام أخر، وهو رأي الحنفية. وإن ترك القضاء لعذر حتى مات فلا شيء عليه؛ لأنها سقطت عنه بموته، كمن مات قبل دخول رمضان لا يلزمه صومه، أما إذا تأخر بدون عذر فعليه أن يقضي ويطعم. فإن

(١) أخرجه مسلم (١١٤٦).

(٢) الشرح الممتع (٦/٤٤٩ - ٤٥٠).

(٣) الشرح الممتع (٦/٤٤٩ - ٤٥٠).

تمكن من القضاء، ففَرَّط فيه حتى مات صام وليه عنه جميع الأيام؛ لقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ». (١)
والولي هنا هو وارثه أو قريبه، ويجوز أن يصوم عنه جماعة بعدد الأيام التي عليه في يوم واحد، قال البخاري: «وقال: الحسن إن صام عنه ثلاثون رجلاً يوماً واحداً جاز». (٢)
فإن لم يكن له ولي أو كان له، ولم يرد الصوم أطعم من تركته عن كل يوم مسكيناً، لكل مسكين مُدٌّ بُرٌّ.

(١) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٥٢)، ومسلم في الصيام (١١٤٧).
(٢) صحيح البخاري (٦٨٩/٢)، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

آداب وتوجيهات للصائمين والصائمات

أولاً: الإقبال على الطاعات والتنافس في فعل الخيرات:
فَضَّلَ اللهُ تبارك وتعالى شهر رمضان على غيره من الشهور،
وخصَّ ليلةً فيه فكانت خيراً من ألف شهر، وهو شهر تُفتَحُ فيه
أبواب الجنة كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ
قال: «إذا جاء رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة» (١).

كما تفتَحُ فيه أبواب السماء وتغلق أبواب جهنم، وتسلسل
الشياطين كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إذا
دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم،
وسلسلت الشياطين» (٢).

فشهر هذا قدره وفضله يحتاج من المسلم الصادق أن يقبل
على الطاعات وأن يستبق الخيرات، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ
وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا ۖ فَاسْتَغِيظُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]. والمراد: بادروا
إلى فعل الطاعات.

(١) رواه البخاري: ١٨٩٨.

(٢) البخاري: ١٨٩٩.

ثانيًا: الكفّ عن المعاصي والآثام:

إن رمضان فرصة عظيمة للإقلاع عن الفواحش والمنكرات؛ لأن الصائم إذا ترك الحلال المباح في نهار رمضان لأمر الله له بذلك، فمن باب أولى أن يترك ما حرّمه الله عليه، والصيام يسدّ منافذ الشيطان التي يصل بها إلى العبد، فيدفعه ذلك إلى الاختصار عن الشر والمعاصي، فليتب العبد إلى ربه، وليعقد العزم على ترك الذنوب والتخلي منها، وربنا غفور كريم، يتجاوز عن السيئات، ويرحم من رجع إليه وأناب.

ثالثًا: البعد عن الرفث والسخب:

الرفث: أصله قول الفحش، والفحش من القول، وكلام النساء في الجماع^(١).

فيجب حفظ اللسان عن قبيح الكلام، والجوارح من قبيح الأفعال، كما على المسلم أن يتعد عن مقدمات الجماع.

وقد نهى الله تبارك وتعالى الصائم عن الرفث، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «والصيام جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب»^(٢).

(١) لسان العرب ١٥٣/٢.

(٢) رواه مسلم: ١١٥١.

رابعًا: الصدق في القول والبعد عن شهادة الزور:

يجب على المسلم أن يتكلم بالحق وأن ينطق بالصدق، وأن يصون لسانه عن الكذب وقول الباطل والزور، وهذا لازم له على الدوام، ويتأكد ذلك في رمضان؛ لقوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (١).

خامسًا: الصبر على الأذى الواقع من الناس:

ينبغي على المسلم أن يصبر في مواجهة الأخلاق البذيئة التي تصيبه، وخاصة في رمضان، وفي هذا توجيه نبوي كريم، فإذا جهل عليك أحد فشتمك أو نال منك، فأعرض عنه، وقل: «إني صائم». ولا تخض مع الخائضين، وكفّ لسانك عن الوقوع في أعراض الناس، أو سبهم ليسلم لك صومك، وتنال الأجر من ربك.

سادسًا: الدعاء عند الإفطار:

يقول النبي ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر» (٢).

(١) رواه البخاري: ١٩٠٣.

(٢) صححه الألباني في الصحيحة ٤٠٦/٤.

سابعًا: الكرم والجود في رمضان:

فقد «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»^(١).

فتشبهوا يا أهل الإيمان بنبىكم عليه الصلاة والسلام، فسارعوا بالصدقة والجود، وأطعموا الفقراء والمساكين والأيتام والمحتاجين، والزموا الذكر والاستغفار وتلاوة القرآن، ومراعاة الأدب مع الله وخلقه.

(١) البخاري: ٦، ومسلم: ٢٣٠٨.

[١٢]

من أحكام صلاة التراويح

إن قيام الليل شعار الصالحين، ودأب المتقين، ومن صفات عباد الرحمن المخلصين، قال جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقال سبحانه: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٧) ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨]. قال الحافظ ابن كثير: كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر، وفي سورة السجدة يصف الله سبحانه عباده المتقين وجنده العاملين بقوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

وقيام الليل مطردة للشيطان؛ حيث ذكر النبي ﷺ أن الشيطان يعقد على قافية الإنسان ثلاث عُقد عند نومه، فإذا استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، وإن توضأ انحلت الثانية، وإذا صلى انحلت الثالثة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس، كسلان (١).

(١) رواه البخاري.

وصلاة التراويح هي قيام ليل رمضان، وسُميت بذلك لطولها وكثرة عدد ركعاتها، وكان المسلمون يستريحون بعد كل أربع ركعات، ثم يتابعون الصلاة، وفيها قال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه» (١).

عدد ركعاتها:

أمرها فيه سعة؛ لأن النبي ﷺ لم يحدد عددًا معينًا لأصحابه، بل كان ﷺ لا يزيد عن ثلاث عشرة ركعة مع طول القراءة، فلما جمعهم عمر رضي الله عنه كانوا يصلون عشرين ركعة ويوترون بثلاث، ويخففون القراءة بقدر زيادة عدد الركعات.

قال شيخ الإسلام: والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كفعله ﷺ فهو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين أفضل، ثم قال رحمه الله: ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد مؤقت عن النبي ﷺ لا يزداد منه ولا ينقص فقد أخطأ.

ومن آداب تلك الصلاة:

١ - عقد النية وإخلاصها لله رب العالمين يقول سبحانه:

(١) متفق عليه.

﴿فَاذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥] ، وقال جل شأنه:
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

٢- وأن يبدأ الصلاة بركعتين خفيفتين، فعن عائشة رضي الله عنها
قالت: كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل ليصلي افتتح بركعتين خفيفتين.
رواه مسلم.

٣- صلاة التراويح تكون مثني مثني. روى عبد الله بن عمر أن
رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل، فقال صلى الله عليه وسلم: «صلاة الليل
مثني مثني، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة فتوتر له
ما قد صلى». رواه البخاري.

٤- ترتيل القراءة مع تدبرها، وإن قل عدد الركعات أولى من
كثرتها مع عدم الترتيل، وإلى ذلك الرأي ذهب ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهما.

٥- الاستراحة بين كل أربع ركعات؛ لأنه مما تواتر عن
السلف أنهم كانوا يطيلون القيام يسلمون من كل ركعتين.
والوتر سنة مؤكدة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث: «يا أهل
القرآن أوتروا، فإن الله وتر يحب الوتر»^(١).

وقد أجمع أهل العلم على أن الوتر ليس بفريضة، ووقته من

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

بعد صلاة العشاء إلى قبل طلوع الفجر، بحيث تكون آخر صلاته بالليل وترًا، فعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «اجعلوا آخر صلاتكم وترًا»، والأولى لمن تيقن القيام آخر الليل تأخير الوتر، ومن غلب على ظنه أنه لن يقوم فليوتر قبل النوم. فعن جابر بن عبد الله قال: قال ﷺ: «من خاف ألا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة، وذلك أفضل» (١).

ولما سأل مسروق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن وتر النبي ﷺ فقالت: من كل الليل أوتر: أوله وأوسطه وآخره، وانتهى وتره إلى السحر (٢). وعن طلق بن علي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا وتران في ليلة» (٣).

وأقل ركعات الوتر ركعة واحدة وأكملها إحدى عشرة أو ثلاث عشرة، وكان ﷺ يقرأ في الوتر بسبح والكافرون والإخلاص كما في حديث أبي بن كعب، وإذا سلم قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد، وصححه الألباني.

وكان يقنت في الوتر، وعلم الحسن بن علي أن يقول في الوتر:
«اللهم عافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، واهدني فيمن
هديت، وقني شر ما قضيت، وبارك لي فيما أعطيت، إنك تقضي
ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت،
سبحانك ربنا تباركت وتعاليت»^(١).

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

[١٣]

بدع القنوت في رمضان

من صور الاعتداء في الدعاء:

١- أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية: كأن يُدعى غير الله، من بشر أو غير ذلك، وهذا أقبح أنواع الاعتداء في الدعاء؛ لأن الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، والشرك أعظم ذنب عُصي الله به.

٢- أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات البدعية: كالتوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه ﷺ، فهذا التوسل بدعي، والدين مبني على الاتباع لا الابتداع، والبدعة بريد الكفر^(١).

٣- أن يسأل الداعي ما لا يليق به؛ كمن يسأل ربه منازل الأنبياء، وكمن يسأل ربه الوسيلة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ويرجوها رسول الله ﷺ لنفسه، فهذا سؤال لا يليق بهم، ولا علم لهم به، وسؤالهم يخالف شرعة الله ﷻ.

٤- تكلف السجع: فقد انتشر في عصورنا تكلف السجع من بعض الأئمة في قنوت الوتر خاصة، مع أنه من الصور المكروهة في الدعاء السجع المتكلف المتعمد.

(١) راجع التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ١٦٠، ١٧٠.

ذلك أن حال الداعي حال ذلة وضراعة والتكلف لا يناسب ذلك. قال بعض أهل العلم: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق (١).

٥- رفع الصوت في الدعاء: فمن آداب الدعاء خفض الصوت والإسرار بالدعاء، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

ولخفض الصوت والإسرار بالدعاء، فوائد عديدة، وأسرار بديعة (٢).

٦- التفصيل الممل في الدعاء لا لزوم له؛ لأن النبي ﷺ كان يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك، لكن كثير من الدعاة يفصل تفصيلاً لا لزوم له: «اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وأخوانا وخالاتنا وأعمامنا وعماتنا». ثم يمضي في تعداد أقاربه، وينتقل بعد ذلك إلى الدعاء لجيرانه وزملائه.. وهكذا يستغرق وقتاً ليس باليسير في هذه التفاصيل.

٧- تصنع البكاء ورفع الصوت بذلك: كثير من الأئمة في دعاء القنوت في رمضان يتصنع البكاء

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٣٠٦.

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ١٠٠٦)، ومجموع الفتاوى ١٥/ ٢٠٠١٥.

بصوت مرتفع، وهذا خطأ، ومنافٍ للإخلاص، ومدعاة للرياء، ومخالف لهدي النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

فالبكاء المطلوب هو ما كان عن خشوع وإخبات وتأثر بعيداً عن رفع الصوت في ذلك، إلا من غلب على نفسه ولم يستطع أن يتمالك زمام أمره، فإنه لا حرج عليه، والله لا يؤاخذه بذلك.

٨- الإطالة بالدعاء حال القنوت والدعاء بما لا يناسب

المقصود:

هناك من الأئمة من يطيل في دعاء القنوت إطالة مفرطة، ويدعو بما خطر له من الأدعية، وربما بلغ بعضهم أن يجعل دعاء القنوت ضعف مدة الصلاة ثلاث مرات أو أكثر.

قال ابن تيمية: وينبغي للقانت أن يدعو عند كل نازلة بالدعاء المناسب لتلك النازلة، وإذا سمى من يدعو لهم من المؤمنين، ومن يدعو عليهم من الكافرين المحاربين، كان ذلك حسناً^(١).

(١) مجموع الفتاوى (١٥٥/٢١).

بدع ومخالفات تقع في رمضان

إن شهر رمضان كغيره من الشهور لم يسلم من المبتدعة الذين أحدثوا فيه ما ليس منه من بدع ومخالفات، ولم يسعهم ما وسع السلف الصالح؛ فصرفوا بذلك الناس عما فيه من أعمال البر وعظيم الأجر، فمن ذلك:

* الإفطار بغير عذر في رمضان:

من أشنع البدع والمنكرات الجهر بالفطر في نهار رمضان، حتى وإن كان الفطر بسبب عذر شرعي، فلا يجوز الجهرية تعظيمًا لحرمان الله.

* تأخير الفطر وتعجيل السحور والتشبه بأهل الكتاب:

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، فإن اليهود يؤخرون» (١).

* بدع ومخالفات في صلاة التراويح:

- ١ - نقر صلاة التراويح.
- ٢ - رفع الصوت بالبكاء في الصلاة إلى حد الصراخ والعويل.

(١) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٩٥.

٣- تهاون البعض وعدم اعتنائهم بصلاة التراويح.

٥- بدعة سرد آيات الدعاء.

٦- بدعة الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح.

٧- الإطالة الزائدة عن الحد في دعاء القنوت.

*** بدعة دعاء ختم القرآن في الصلاة:**

وما أحدث بعد الختم من رفع الأصوات والصراخ والنحيب، وذلك مخالف للسنة المطهرة، وقد سُئل مالك رحمه الله عن الذي يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو؟ قال: ما سمعت أنه يدعو عند ختم القرآن، وما هو من عمل الناس.

فاللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ بك من الرياء، وأن تتقبل منا الصلاة والقيام.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مباحات الصيام

إن الصائم يباح له أمور كثيرة، وهي لا تؤثر على صيامه؛ ومن هذه الأمور:

١- نزول الماء والانغماس فيه: لما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِّنْ أَهْلِهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ». (١)

فإن دخل الماء في جوف الصائم من غير قصد، فصومه صحيح.

٢- الاكتحال والقطرة ونحوهما: مما يدخل العين، سواء وجد الطعام في حلقه أم لم يجده؛ لأن العين ليست بمنفذ إلى الجوف.

٣- يباح له تذوق الطعام إذا لم يبلعه، وأن يشم الطيب والبخور، والمضمضة والاستنشاق؛ لكن لا يبالغ في ذلك، فعن لقيط بن صبرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَسْبَغِ الوُضُوءَ، وَخَلَّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالَغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا». (٢)

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٥)، ومسلم (١١٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨) وصححه الألباني.

٤- وكذا يباح له ما لا يمكن الاحتراز عنه كبلع الريق، وغبار الطريق، وغيرها.

٥- كما يباح له التسوك.

٦- كما يُباح له القُبلة لمن قَدَرَ على ضبط نفسه؛ لحديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقْبَلُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَيُبَاشِرُ^(١) وَهُوَ صَائِمٌ، وَلَكِنَّهُ أَمْلَكُكُمْ لِإِزْبِهِ^(٢)» (٣). (٤)

حكم من أفطر ناسياً:

إذا أكل الصائم، أو شرب، أو جامع، أو فعل ما ينافي الصوم ناسياً؛ لم يفطر؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» (٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِذَا نَسِيَ فَأَكَلَ وَشَرِبَ فَلَيْتَمَ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» (٦).

(١) معنى المباشرة هنا: اللمس باليد، وهو من التقاء البشريتين.

(٢) الإرب: الشهوة والرغبة في الجماع.

(٣) أخرجه مسلم (١١٠٦).

(٤) انظر: فقه السنة (١/ ٤٦٠) بتصرف واختصار.

(٥) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٦) متفق عليه.

ولا خلاف بين أهل العلم في أن معنى الحديث أن الله ﷻ رفع الإثم المترتب على الخطأ أو النسيان أو الإكراه، كما أنهم اختلفوا في مسألة جماع الناسي، والراجح أنه لا يفطر.

حكم من أفطر جاهلاً:

إذا أكل الصائم أو شرب أو جامع جاهلاً بتحريم ذلك فإننا نفرق بين حالتين:

الأولى: إن كان قريب عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة: بحيث يخفى عليه كون هذا مفطراً: لم يفطر قياساً على الناسي.
الثاني: إن كان مخالطاً للمسلمين بحيث لا يخفى عليه تحريمه أفطر؛ لأنه مقصر.

قال السيوطي في الأشباه والنظائر: كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل منه هذا الجهل في رفع الإثم عنه، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة يخفى فيها مثل ذلك، وهو معرفة الحلال من الحرام كتحریم الزنا والقتل والسرقه والخمر. اهـ.

حكم من أفطر مكرهاً:

فإذا أكره إنسان آخر على الطعام والشراب أو الجماع بأن أدخل الطعام في فمه أو أسقط الماء وغيره في أنفه فنزل إلى جوفه

أو ربطت المرأة وجُومت، أو هددته وأكرهه حتى يأكل أو يشرب بنفسه أو أكرهت على التمكين من الوطء ففعلت: فالصحيح أن صيام المكروه صحيح ولا يبطل؛ وذلك لأنه مأمور بدفع الضرر عن نفسه، فقياسه على الناسي من باب أولى؛ لأن الناسي ليس مخاطبًا بأمر ولا نهي.

[١٦]

مفسدات الصوم

تتعدد الأمور التي يفسد بها الصوم، ويبطل بها الصيام،
والمفطرات عامة- ما عدا الحيض والنفاس- لا يفطر بها الصائم
إلا بشروط ثلاثة:

- ١- أن يكون عالمًا غير جاهل.
 - ٢- أن يكون ذاكرًا غير ناسٍ.
 - ٣ أن يكون مختارًا غير مضطر ولا مكره. (١)
- والمفطرات سبعة أنواع:

الأول: الجماع:

وهو إيلاج الذَّكَر في الفرج، وهو أعظمها وأكبرها إثْمًا، فمتى
جامع الصائم بطل صومُه، فرضًا كان أو نفلًا، ثم إن كان في نهار
رمضان، والصوم واجب عليه لزمه مع القضاء الكفارة المغلظة،
وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا
يفطر بينهما إلا لعذر شرعي كأيام العيدين والتشريق، أو لعذر
حسي كالمرض والسفر لغير قصد الفطر، فإن أفطر لغير عذر
ولو يومًا واحدًا لزمه استئناف الصيام من جديد ليحصل التابع،

(١) انظر: مجالس شهر رمضان (١٢٧-١٣٤).

فإن لم يستطع صيام شهرين متتابعين فإطعام ستين مسكيناً لكل مسكين نصف كيلو وعشرة غرامات من البرّ الجيد.

الثاني: إنزال المني اختياراً:

سواء بتقبيل أو لمس أو استمناء أو غير ذلك في نهار رمضان؛ لأن هذا من الشهوة التي لا يكون الصوم إلا باجتنابها، كما جاء في الحديث القدسي: «يَدْعُ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَشَهْوَتُهُ مِنْ أَجْلِي»^(١). فأما التقبيل واللمس بدون إنزال فلا يفطر لما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَيَبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَلَكِنَّهُ أَمْلَكُكُمْ لِإِزِهِ»^(٢).

أما إذا باشر فأمذى، أو استمنى فأمذى^(٣) فلا يفسد صومه، وصومه صحيح، وكذا الإنزال بالاحتلام أو بالتفكر المجرد عن العمل لا يفطر؛ لأنه بغير اختيار الصائم، والتفكير معفو عنه لما صح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٦).

(٣) وهو ماء رقيق يخرج من مجرى البول عند ثوران الشهوة.

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (١٢٧).

الثالث: الأكل أو الشرب عمداً:

فإذا أكل الصائم أو شرب عامداً مختاراً فسد صومه؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الرابع: ما كان بمعنى الأكل أو الشرب:

مثل الإبر المغذية التي تُغني عن الأكل والشرب؛ لأنها إن لم تكن أكلاً وشرباً حقيقة؛ فإنها بمعناها، فتثبت لها حكمهما.

الخامس: إخراج الدم بالحجامة:

لقوله ﷺ: «أفطر الحاجم والمحجوم». (١)

السادس: التقيؤ عمداً:

لقول ﷺ: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمداً فَلْيَقْضِ». (٢)

السابع: خروج دم الحيض والنفاس:

لقول النبي ﷺ في المرأة: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ». (٣)

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٦٧)، والترمذي (٧٧٤) وابن ماجه (١٦٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠) وابن ماجه (١٦٧٦) وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٨)، ومسلم (٨٠).

الدعاء في رمضان

الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ويكفي منه مع البر ما يكفي الطعام من الملح كما قال أبو ذر رضي الله عنه، وهو عدو البلاء يدافعه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخفضه إذا نزل^(١).

الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وهو سلاح المؤمن وعماد الدين، ونور السماوات والأرض، ولا يهلك مع الدعاء أحد.

وللدعاء آداب يجب على الداعي أن يراعيها؛ فقد ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال لجنوده: «أنا لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء؛ ذلك لأن رب العالمين قد وعد الداعين بإجابة دعائهم، وهو سبحانه لا يُخلف وعده، فهو أصدق القائلين، وليس هناك أصدق من الله قيلاً.

وفيما يلي بعض من هذه الآداب:

١ - الإخلاص: وهو من أهم الآداب وأوكدها؛ ذلك لأن

(١) الدعاء والدواء لابن القيم، ص ١٠.

الإجابة مشترطة بالإخلاص^(١).

٢- التوبة والرجوع إلى الله تعالى: فإن المعاصي من أسباب منع قبول الدعاء، لذا ينبغي على الداعي أن يبادر بالتوبة والاستغفار قبل دعائه؛ ليكون مؤهلاً لقبول دعائه؛ لذا فإن الأنبياء والرسل كانوا يحثون أقوامهم على التوبة والاستغفار؛ ذلك لأن الاستغفار والتوبة من أسباب نزول الغيث والإمداد بالأموال والبنين.

٣- التضرع والخشوع والتذلل والرغبة والرهبة:

وهذا هو روح الدعاء ولله ومقصوده، يقول جل شأنه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

٤- الإلحاح والتكرار وعدم الضجر والملل، ويتحقق

الإلحاح بتكرار الدعاء مرتين أو ثلاثاً؛ حيث كان من هدي النبي ﷺ أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً؛ فعن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ ثَلَاثًا وَيَسْتَغْفِرَ ثَلَاثًا^(٢).

(١) فتح الباري ١١/ ٩٥.

(٢) أبو داود ١٥٢٦، وضعفه الألباني.

وهذا يخالف حال المخلوق الذي كلما أكثر سؤاله وكررت حوائجك إليه؛ تبرم منك وثقلت عليه، وهُنتَ عنده.

٥- الإكثار من الدعاء في الرخاء: فالعبد الصالح من شأنه أن

يلازم الدعاء في حالة الرخاء والشدة، أما غير الصالح فإنه لا يلتجئ إلى الله إلا في وقت الشدة ثم ينساه، وهذا شأن من غفل قلبه عن خالقه ورازقه، يقول جل شأنه: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢].

وقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [الزمر: ٨].

٦- خفض الصوت بالدعاء: فمن آداب الدعاء المخافته به،

والإسرار به، وعدم الجهر به، قال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ

اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ» (١).

٧- طيب المطعم والمشرب: كما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين.. ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك».



(١) البخاري: ٢٩٩٢.

من خصائص أمة الإسلام في رمضان

تميزت أمة الإسلام بكثير من الخصائص، والميزات التي لم تتوافر لأمة أخرى من الأمم، فإذا أدركت الصلاة أحدًا من هذه الأمة فليصل في أي مكان طاهر شاء، فقد جعلت الأرض لأهل الإسلام مسجدًا، وترابها طهورًا.

*** وأول عطاء الله لهذه الأمة في رمضان تلك الخصال الكبيرة:** أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وهذا يعني أن قيم السماء في تقدير الأشياء تختلف عن قيم الأرض، فالناس إذا شمُّوا رائحة فم أحد فوجدوه متغيرًا سرعان ما يأنفون منه، وينفضُّون عنه، ويكرهون حضوره وتواجده؛ ذلك لأن رائحة فمه كريهة، أما عند الله؛ ولأن سبب تغير الفم هو الصوم، وطاعة الله، فتختلف النظرة، وتتباين المقاييس، فهو عند الله - ﷻ - أطيب من ريح المسك، والمسك أغلى أنواع الروائح، وقد عودنا الإسلام تصحيح المفاهيم وتعديل الفكر، فقال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾، ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «رب رجل أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله

لأَبْرَهُ»^(١)، وغيرها من المفاهيم التي عدَّلها الدين وقوَّمها الإسلام.

فالرائحة - لأنها بسبب الطاعة - انقلبت أطيَّب من المسك، وهذا لون من ألوان التربية التي نتعلمها من رمضان الكريم.

*** وثاني تلك الخصال:** أن الحيتان تستغفر لهم حتى يُفطروا، وهذا يعني أن الذين يستغفرون لهم كثيرون، منهم الملائكة ومنهم الناس، ويتعدى الأمر إلى الحيوان، ليس فقط الذي على البر حتى يشمل ويضاف إليه ما في البحر، فالأسماك الكبيرة في حالة استغفار دائم لأمثال هؤلاء، ولعل السبب في ذلك هو معرفتهم حدود الله، وعدم تقدمهم بظلم أو تعدٍّ عليها، وحفظهم حقوق البحار، وكذلك بسبب حب الحيتان للطائعين، ومنهم الصائمون، ويظل الدعاء طوال النهار حتى يفطروا، و(حتى) تفيد انتهاء الغاية الزمانية، أي فيظل دعاؤهم الخاص إلى أن يفرحوا بإفطارهم.

*** وثالث تلك الخصال:** يزين الله ﷻ كل يوم جنته، ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة، ويصيروا إليّ. وهذه منة كبرى ونعمة عظيمة - أن الله - سبحانه

(١) مسلم ٢٦٢٢.

وتعالى - يتفضل من عليائه، ويأمر بتزيين الجنان، وإعدادها للطائعين، والحديث يوضح أنه - جل في علاه - يزيئها بذاته العلية، وما زيئه الله بذاته، فلا شيء يكون أجمل منه، ولا أحسن منه، ولا أجَلَّ منه، ولا أكمل منه، وهذا التزيين حاصل كل يوم، فما بالناس بالجمال والجلال والكمال الذي يتخلل تلك الجنان؟!، وعلى أي صورة تكون، وفي أيَّ أبهى حللها تظهر، الله أكبر، الله أكبر، جلَّ فضلُ الله وطاب، وزاد خيره واستطاب.

*** رابع تلك الخصائص:** أن مردة الشياطين تُصَفَّد، فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، وهذه نعمة كبرى حيث يساعدهم ربهم بتقييد الشياطين، وخصوصاً مردتهم، فتُسلسل، ولا تتحرك فتنفذ إلى ما كانت تنفذ إليه من قبل، ولا يمكنها الوصول إلى ما كانت تستطيع الوصول إليه، وهذا يعني أنهم لا تأثير لهم على الصائمين.

*** وأما الخصلة الخامسة:** أنهم في آخر ليلة يجبر بخاطرهم، وتمحى ذنوبهم، وتكفر سيئاتهم، وتبييض صحائفهم، ويخرجون من رمضان مغفوراً لهم، مُمَحِّية خطاياهم، ولما سأل الصحابة الرسول ﷺ: أهى ليلة القدر؟ (يسألون من شدة حرصهم وصدق رغبتهم وحسن صلتهم عنها).

فكان الجواب: لا، ولكن العامل إنما يُوفَّى أجره إذا قضى عمله، وهذا يُفهم منه أن جميع الصائمين يغفر الله لهم، إضافة إلى جلال دخولهم في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فهم قد عملوا، وأخلصوا، ووفوا ما عليهم من صيام وقيام، وطاعة وذكر، وإخلاص وشكر، فتكرم الله عليهم بنعمة المغفرة، ومِنَّة العفو؛ لأنهم قضوا عملهم، ومن عمل أخذ أجر عمله، وثواب تبعه.

تلك بعض خصائص هذه الأمة في رمضان، هذا الشهر الفضيل الذي يعد شهر الشهور، وتاج الدهور، وشيمة العصور، فالحمد لله على نعمة رمضان، والشكر لله الذي فرض صيامه، ومتَّعنا بقيامه، وصلى الله وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١٩]

رمضان شهر الانتصارات

لقد هبت نسائم البشارات؛ بقدوم شهر التمكين والانتصارات، ففي رمضان من السنة الثانية للهجرة كان يوم الفرقان؛ حيث غزوة بدر الكبرى التي أرسّت أكبر دعائم التمكين للإسلام ودولته في الأرض، وخطّت أكبر فصول التحول في صفحات التاريخ؛ قال تعالى «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة».

وبعدها كان يوم المكرمة يوم أن جاء الحق وزهق الباطل، إنه يوم فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وبعدها مر التاريخ على رمضان كثيرًا، ففيه كانت بدايات فتح الأندلس، ثم مرت أيامه المباركة لتشهد معركة عين جالوت، وغيرها الكثير حتى وصلت انتصارات رمضان إلى سيناء، يوم زُلزلت الأرض تحت أقدام اليهود في حرب العاشر من رمضان.

«وربك يخلق ما يشاء ويختار»

لم يكن اختيار شهر رمضان لتقع فيه هذه الأحداث الكبيرة التي مكّن الله بها لدينه في الأرض، وبدّل من بعد عسر يسرًا، لم يكن قط اختيارًا خاليًا من الحكمة والتقدير فلقد قال تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]؛ وإنما كان وراء هذا الاختيار توجيه رباني للدلالة على أثر هذا الشهر الكريم في إحداث التحولات الكبرى في حياة الأمة.

إنه شهر التمكين والنصر المبين، وإذا أراد الله ﷻ شيئاً هياً أسبابه؛ فيها نحن وبعد طول انتظار يأتينا شهر التمكين ليزور الأمة أخيراً، ويسقط رداء العبودية على أرضٍ قد مهّدت له بفضل الله تعالى، فكيف يمكننا الاستفادة من هذه النفحة الرمضانية الربانية في سبيل تحقيق التمكين لدين الله تبارك وتعالى في الأرض؟ وما هي المخاطر التي يجب علينا أن نحذرنا بل ونتخطاها؟ وما هو دورنا الأهم في هذه الأيام المعدودات؟ وكيف نجتمع بين مواجهة خصوم الإسلام والرد على شبهاتهم، وبين تفريغ النفس والقلب للعبادات الرمضانية المكثفة؟

مفتاح باب التمكين إظهار شعائر الدين

إن إظهار شعائر الإسلام له قدر عظيم، وبخاصة في مثل هذه الأيام التي يراقب الناس فيها تحركات أهل الدين ويرصدونها، وإظهار العبادة أمر شرعي مقرر بالكتاب والسنة؛ ففي شأن الصدقات يقول تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال ابن كثير: «إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة». وقال السعدي: «إن كان في إظهارها إشعار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار». وقال في الجلالين: «أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها لِيُقْتَدَى بِهِ وَلِتُلا يُتَّهَمَ».

وأما الصلاة فإن كانت فريضة فهي علانية، وفي جماعة، وجهرًا بل ولها أذان وإقامة، وفضلها علانيتها في جماعة معروف مشهور، وإن كانت نافلة فالإسرار بها أفضل، ولذلك فهي في البيت أفضل منها في المسجد.

وكذلك الحج وشعائره، وعلى العموم يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. فعلى المسلم أن يعمل ثم يسجل كل نجاحاته باسم الإسلام فهو ناجح ليس لأنه ذكي، ولكن لأنه مسلم دينه يأمره بهذا، فيكون بذلك أحسن الناس قولاً وأعظمهم أجرًا.

ويترتب على فعله هذا آثار عظيمة فلا يُتَّهَمُ أهل الدين بأنهم يقولون ما لا يفعلون، وتتحول كلمة الحق إلى واقع يُحتذى

«فَإِنَّ خُلِقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ» (١).

عسى الله أن يأتي بالفتح

إنه لا نجاة إلا بأخذ الزاد الإيماني الشافي ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، ولزوم جماعة المسلمين..- فمن شدَّ شدَّ في النار- واتباع سبيل المؤمنين والوقوف عند أقوال العلماء الربانيين، والعمل في سبيل الله؛ فمن لم يعمل صار معمولاً غيره من أهل الباطل، وإن أعلن أهل الباطل الحرب على منهجك ودينك، ثم جاءوا من كل حدب ينسلون، فأعلن أنت العبادة الخالصة لله في كل أحوالك وأعمالك، كي يراك الناس فيقتدوا بك ويعلموا أن من ورائك ديناً عظيماً متمثلاً فيك وفي أفعالك وأقوالك، أظهر شرائع الدين وشعائره، جدد النية ليصبح كل عملك خالصاً لله.. إنه إعلان العبادة لتضمن بذلك الكفاية ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، والحماية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، والتأييد ﴿وَلَيَنْصُرَنَّكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، أما البقية فهي يسيرة ميسرة بإذن الله، وكل الذي فوق التراب تراب. والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه مسلم ١٧٧٣.

[٢٠]

فضائل العشر الأواخر من رمضان

١ - الحرص على إحياء هذه الليالي الفاضلة:

بالصلاة والذكر والقراءة وسائر القربات والطاعات؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يُحْيِي لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ والقراءة والذكر بقلبه ولسانه وجوارحه؛ لِشَرَفِ هذه الليالي، وطلباً لِلْيَلَةِ الْقَدْرِ التي مَنْ قامها إيماناً واحتساباً غَفَرَ اللَّهُ له ما تقدمَ من ذنبه.

٢ - إيقاظ الأهل للعبادة وشهود الخير:

كان النَّبِيُّ ﷺ يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي، وقد صح عن النَّبِيِّ ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليّاً ليلاً فيقول لهما: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟» (١).

٣ - الاجتهاد في تحري ليلة القدر في هذه العشر:

قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]. ومقدارها بالسنين ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. قال النخعي رحمه الله: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر (٢).

(١) رواه البخاري ١١٢٧.

(٢) لطائف المعارف (٨/٢).

وقال ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١). فقلوله: «إيمَانًا واحتسابًا» يعني إيمَانًا بالله وبما أعدَّ الله من الثواب للقائمين فيها، واحتسابًا للأجر وطلب الثواب، وهذه الليلة في العشر الأواخر كما قال ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» (٢). وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع؛ لقول النبي ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» (٣). وهي في السبع الأواخر أقرب؛ لقوله ﷺ: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ - يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ - فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي» (٤).

وأقرب السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين لحديث أَبِي بِن كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَبِي فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَاللَّهُ إِنِّي لَأَعْلَمُهَا وَأَكْثَرُ عِلْمِي هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا: «هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ» (٥).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري ٢٠١٧.

(٤) رواه مسلم ١١٦٥.

(٥) رواه مسلم ٧٦٢.

ولا تَخْتَصُّ لَيْلَةُ الْقَدْرِ بِلَيْلَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي جَمِيعِ الْأَعْوَامِ، بَلْ تَنْتَقِلُ فَتَكُونُ فِي عَامٍ لَيْلَةً سَبْعَ وَعِشْرِينَ مَثَلًا، وَفِي عَامٍ آخَرَ لَيْلَةً خَمْسَ وَعِشْرِينَ تَبَعًا لِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى» (١).

٤ - الاجتهاد في الدعاء:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيْ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (٢).

٥ - الحرص على الاعتكاف في هذه العشر:

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» (٣).

ولما ترك الاعتكاف مرة في رمضان اعتكف في العشر الأول

(١) رواه البخاري ٢٠٢١.

(٢) انظر: صحيح ابن ماجه ح (٣٨٥٠).

(٣) متفق عليه.

من شوال، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيحين.
قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أعلم عن أحدٍ من العلماء خلافاً
أنَّ الاعتكافَ مَسْنُونٌ» (١).

والأفضل اعتكاف العشر جميعاً كما كان النبي ﷺ يفعل،
لكن لو اعتكف يوماً أو أقل أو أكثر جاز.
والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

(١) الفتح (٦/٣١٣).

[٢١]

فضائل الاعتكاف في المساجد وآدابه

أولاً: الاعتكاف في اللغة والاصطلاح:

الاعتكاف والعُكُوف هو الإقامة في المسجد والمكث فيه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال المفسرون وغيرهم من أهل اللغة: عاكِفون: مُقيمون في المساجد لا يخرجون منها إلا لحاجة الإنسان، يُصَلِّي فيه، ويقرأ القرآن، ويقال لمن لازَمَ المسجد وأقام على العبادة فيه عاكف ومُعْتَكِفٌ، والاعتِكافُ والعُكُوفُ الإقامة على الشيء وبالمكان ولزومهم (١).

واصطلاحاً:

«المقام في المسجد من شخص مخصوص على صفة مخصوصة» (٢).

ثانياً: حكمه ومشروعيته:

الاعتكاف في رمضان سنة مؤكدة لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يعتكف في رمضان؛ فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(١) لسان العرب (٩/٢٥٥).

(٢) فتح الباري ٤/٣٤١.

قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان (١).
وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: "أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده" (٢).

ولا يكون الاعتكاف واجباً إلا إذا نذره الإنسان وأوجبه على نفسه؛ وذلك لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر سأل النبي ﷺ فقال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «فأوف بنذرك» (٣).

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: «الاعتكاف سنة بالإجماع، ولا يجب إلا بالنذر بالإجماع، ويستحب الإكثار منه، ويستحب ويتأكد استحبابه في العشر الأواخر من شهر رمضان» (٤).

وقال ابن المنذر - رحمه الله -: "أجمع أهل العلم على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضاً، إلا أن يوجب المرء

(١) رواه البخاري (١٨٨٥)، ومسلم برقم (١١٧١).

(٢) رواه البخاري برقم (١٩٢٢)، ومسلم برقم (١١٧٢).

(٣) رواه البخاري (١٨٩١).

(٤) المجموع (٦/ ٤٧٥).

على نفسه الاعتكاف نذرًا؛ فيجب عليه" (١).

ثالثًا: الحكمة من الاعتكاف:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "لَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ وَلَمْ شَعْتِهِ بِإِفْقَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعْتَ الْقَلْبِ لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِفْقَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَفُضُولُ مُخَالَطَةِ الْأَنَامِ وَفُضُولُ الْكَلَامِ وَفُضُولُ الْمَنَامِ مِمَّا يَزِيدُهُ شَعْتًا، وَيُشَسِّتُهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُضَعِفُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيُوقِفُهُ أَفْتَضَّتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الصَّوْمِ مَا يُذْهِبُ فُضُولَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَيَسْتَفْرِغُ مِنَ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشَّهَوَاتِ الْعَائِقَةِ لَهُ عَنْ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرَعَهُ بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَلَا يَضُرُّهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ وَشَرَعَ لَهُمُ الْاِعْتِكَافَ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ وَالْخُلُوعُ بِهِ وَالانْقِطَاعُ عَنِ الْاِشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ

(١) المغني لابن قدامة (٦/٢٠٨-٢٠٩)؛ وكتاب الإجماع لابن المنذر

(٥٣)؛ وشرح النووي على مسلم (٤/٢٠١).

وَالْاِسْتِغَالُ بِهِ وَحَدَهُ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ وَالْإِقْبَالُ
بَدَلَهَا، وَيَصِيرُ الْهَمُّ كُلُّهُ بِهِ وَالْخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ وَالتَّفَكُّرُ فِي
تَحْصِيلِ مَرَاذِيهِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أَنْسُهُ بِاللَّهِ بَدَلًا عَنْ أَنْسِهِ
بِالْخَلْقِ فَيَعُدُّهُ بِذَلِكَ لِأَنْسِهِ بِهِ يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حِينَ لَا
أَنْسَ لَهُ وَلَا مَا يَفْرَحُ بِهِ سِوَاهُ، فَهَذَا مَقْصُودُ الْاِعْتِكَافِ
الْأَعْظَمِ (١).

رابعاً: أهم ما يعمر به المعتكف وقته:

يشرع للمعتكف العبادات المحضة كالصلاة وقراءة القرآن
والذكر ونحو ذلك، وله أن يؤدي العبادات المتعدية كالتعليم
وقراءة القرآن ولا يكثر منها، وله الأخذ ما يحتاج إليه من الثياب
كما كان يفعل الصحابة، ويستحب أن يترك ما يعنيه ويشغل
بالعبادة.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يحيي الليل في العشر الأواخر
من رمضان، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل
العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله (٢).

(١) زاد المعاد لابن القيم ٢/ ٨٢.

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

وإحياء الليل ليس خاصًا بالصلاة، بل يشمل جميع الطاعات، وبهذا فسرہ العلماء: قال الحافظ: (وأحيا ليله) أي سهره بالطاعة. وقال النووي: أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها. وقال في عون المعبود: أي بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن.

وصلاة القيام أفضل ما يقوم به العبد من العبادات في ليلة القدر، ولذلك قال النبي ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) (١).

١- ومن أعظم أعمال الاعتكاف العكوف على كتاب الله قراءة وترتيلًا وتدبرًا.

٢- ومن أعمال الاعتكاف الإكثار من ذكر الله: من تسبيح وتهليل وتحميد وما أشبه ذلك، فيكثر المعتكف من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم... ونحو ذلك من الأذكار الموظفة.

٣- الاستغفار، فالاستغفار يجلو القلب، ويرفع الآصار، ويضع الله به الأوزار.

(١) رواه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

٤- الدعاء: فيكثر المعتكف من دعاء الله تعالى وسؤاله من خيري الدنيا والآخرة، فإن الدعاء من أفضل العبادات، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال الرسول ﷺ: (الدعاء هو العبادة)^(١).

خامساً: آداب الاعتكاف:

١- يستحب للمعتكف الاشتغال بطاعة الله - تعالى - ذكره، وقراءة القرآن، ومذاكرة العلم لأنه أدعى لحصول المقصود من الاعتكاف.

٢- الصيام: فإن الاعتكاف مع الصيام أفضل وأقوى على كسر شهوة النفس، وجمع الخاطر، وصفاء النفس.

٣- أن يكون الاعتكاف في المسجد الجامع، وهو الذي تقام فيه الجمعة.

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٥) وصححه الألباني.

٤- أن لا يتكلم إلا لخير، فلا يشتم، ولا ينطق بغيبة، ونميمة، أو لغو من الكلام. قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: "يستحب للمعتكف التشاغل بالصلاة، وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، ونحو ذلك من الطاعات المحضه، ويجتنب ما لا يعينه من الأقوال والأفعال، ولا يكثر الكلام لأن من كثر كلامه كثر سقطه، وفي الحديث: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))^(١)، ويجتنب الجدال، والمراء، والسباب، والفحش؛ فإن ذلك مكروه في غير الاعتكاف؛ ففيه أولى، ولا يبطل الاعتكاف بشيء من ذلك"^(٢).

٥- ينبغي للمعتكف أن يمد يد المساعدة لجميع المعتكفين.

٦- الالتزام بالهدوء، ومحاسن الأخلاق، وعدم إزعاج باقي المعتكفين برفع الصوت مما يقلق نومهم، والخشوع في الصلاة.

٧- ينبغي للمعتكف أن لا يتخذ الاعتكاف مكاناً للاجتماع والسمر مع بعض أصدقائه أو من يقوم بزيارته وذلك بتبادل أطراف الحديث معهم، لفترة طويلة من الوقت، لأن هذا كله

(١) سنن الترمذي ٢٣١٨ وصححه الألباني.

(٢) المغني لابن قدامة: ١٦٤/٢.

مخالف للحكمة التي من أجلها شرع الاعتكاف.

سادساً: مفسدات الاعتكاف:

يفسد الاعتكاف بالخروج من المسجد عمداً لغير حاجة، وكذا يفسد بالجماع، قال ابن قدامة: (الوطء في الاعتكاف محرم بالإجماع، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة ١٨٧]، فإن وطء في الفرج متعمداً أفسد اعتكافه بإجماع أهل العلم. وإن كان ناسياً فكذا ذلك عند أحمد وأبي حنيفة ومالك^(١).

وقال ابن حجر: (اتفقوا على فساد بالجماع حتى قال الحسن والزهري: من جامع فيه لزمته الكفارة، وعن مجاهد يتصدق بدينارين...) (٢).

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (... الأمر المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفاً في مسجده، ولو ذهب إلى منزله لحاجة لا بد له منها فلا يحل له أن يثبت فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل، وليس له أن يقبل امرأته ولا أن يضمها إليه، ولا يشتغل

(١) المغني ٢/ ١٦٠.

(٢) فتح الباري ٤/ ٣٤٢.

بشيء سوى اعتكافه...)(١).

وأخيرًا: فهذا نداء للمعتكفين والمعتكفات: المساجد بيوت الله، يستوي فيها الغني والفقير والجليل والحقير، ذلة وخضوعاً لله العظيم الكبير. فاخرجوا إلى بيوت الله بنية صادقة، وليس في قلوبكم إلا الله، وادخلوا إلى بيوت الله معظمين شعائر الله، فللمساجد حقوق عظيمة فلا تؤذوا المسلمين في اعتكافكم، تقبل الله منا ومنكم وأصلح أحوالنا وأحوالكم.

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٩٤.

[٢٢]

من علامات الصوم المقبول

١ - إخلاص العبادة لله وحده:

إن من شروط قبول الأعمال الصالحة عند الله تعالى أن تكون خالصة له وحده، وما دون ذلك فهي مردودة وغير مقبولة، وقد تدخل صاحبها في دائرة الرياء (الشرك الخفي)، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

فاجعل شعارك دائماً - أخي الكريم - قبل كل عبادة: «إيماناً واحتساباً» أي: يا رب هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، وطلباً لثوابك فتقبله مني.

٢ - تقوى الله تعالى في السر والعلن:

مما لا شك فيه أن الله ﷻ شرع لنا الصوم لتتدرب ونتربى على مراقبة الله تعالى وخشيته في كل الأقوال والأفعال، والإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي والزلات، أي: تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك، فهذه هي خلاصة التقوى. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ولعظم التقوى ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في أكثر من

مائتين وخمسين آية.

٣- صوم الأعضاء والجوارح عن ارتكاب المعاصي:

إذا لم يتدرب المسلم وهو صائم على ضبط جوارحه من ارتكاب المعاصي فما فائدة الصيام؟!

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(١). المراد بقول «الزور»: الكذب، الجهل: السفه. والعمل به: أي بمقتضاه.

وإياك أن تظن أن الصيام هو تجويع البطن عن الطعام والفرج عن الشهوة، هذا خطأ، والصواب أن الصوم المقبول: ضبط الجوارح مع الله تعالى ومع الناس. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك، فقل: إني صائم، إني صائم»^(٢).

٤- الدعاء بقبول العبادات:

رمضان شهر إجابة الدعاء، كما قال الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

(١) البخاري ١٩٠٣.

(٢) صحيح الجامع: ١٠٨٢.

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ^ط أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٥﴾
[البقرة: ١٨٥].

وبشرنا رسول الله ﷺ بأن شهر رمضان شهر إجابة الدعاء،
فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَتَقَاءُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ - يَعْنِي فِي رَمَضَانَ - وَإِنْ
لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ» ^(١). فعليك أن تكثر
من الدعاء وأنت صائم.

وقد سأل قتادة أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَي دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ
أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرَ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: االلَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ^(٢).

٥- المداومة على الأعمال الصالحة بعد رمضان:

شهر رمضان شهر الصيام والقيام وقراءة القرآن وصلته
الأرحام، هذه الأعمال الصالحة أصبحت حجةً عليك، فمن
علامة قبولها المداومة على هذه الطاعات بعد شهر رمضان،
يقول ابن رجب رحمه الله تعالى: من عمل طاعة من الطاعات
وفرغ منها، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى، وعلامة ردها

(١) صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٢.

(٢) البخاري: ٤٥٢٢، ومسلم: ٢٦٩٠.

أن يُعقِب تلك الطاعة بمعصية، ما أحسن الحسنة بعد السيئة
تمحوها، وأقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها. إن معاودة
الصيام بعد رمضان علامةً على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا
تقبل عمل عبدٍ وفقه لعمل صالح بعده^(١).
نسأل الله القبول والثبات إلى الممات.

(١) لطائف المعارف: ص ٣١٦.

خواطر حول حكم الصيام

* الصيام حمية للجسد:

من رحمة الله تبارك وتعالى بالعباد أن جعل الصيام وقاية وحماية وتنظيفاً للبدن مما فيه من سموم وأدواء، ففي الصوم صحة البدن، وخلوصه من الأخلاط الرديئة.. وفي الصوم إضعاف للشهوات التي تزدد مع الأكل والشرب وإطلاق النظر، فيأتي الصيام ليكسر هذه الشهوات، فيحفظ الإنسان جوارحه.

إن البدن طوال العام مع العمل يكل ويملّ، وقد تُصاب أجهزة الجسم بالآلام والأسقام الامتلائية، والأفضل أن تستريح الأعضاء بعضاً من الأوقات لتستعيد نشاطها وقوتها مرة أخرى، فمن رحمة العزيز العليم أن جعل للمعدة وقتاً تستريح فيه كما يستريح غيرها من الأعضاء.

وبامتناع الإنسان عن الشهوات بالصوم المشروع؛ ترتقي نفسه وتسمو روحه، وكأنها تقترب من الملاء الأعلى الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون؛ فيكون هذا السمو الروحي، وكسر حدة الشهوات عاملاً مهماً ليتخلص المرء من حصار الآفات المهلكة.

* الصوم في الحر واستدارة الزمان:

الصوم في الحر ومع طول النهار مدرسة عظمت في الصبر، وفيها من الأجر الكثير من صبر على ذلك، وقد شاء الله سبحانه أن يجعل الشهر القمري رمضان محلاً للصيام، ولهذا الشهر علامته الكونية الكبيرة، القمر بدءاً وانتهاءً يحمل في طياته عوامل الوضوح والثبات، فلا تستطيع سلطة أو جماعة أن تخفيه أو تحرف المسلمين عنه، قال النبي ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ، فَإِنْ غُبِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ» (١).

واختيار السنة القمرية في التوقيت له فيها حكم عظيمة، فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بحوالي عشرة أيام، فعلى هذا يتقدم شهر رمضان كل عام عنه في السنة الماضية عشرة أيام، وعلى هذا ففي خلال ستة وثلاثين عاماً لا يبقى يوم من أيام السنة إلا وقد صامه المسلم، يشهد له بصومه لربه.

اليوم القصير.. واليوم الطويل.. واليوم الحار.. واليوم البارد.. وبذلك يتساوى المسلمون في كل أقطار الدنيا في مقدار الصيام وشدته، ولولا هذا لكان نصيب أهل المناطق الحارة أشد من نصيب أهل المناطق الباردة، وناس يصومون يوماً طويلاً أبد

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٠٨١).

الدهر، وناس يصومون يوماً قصيراً.

ومن رحمة الله ﷻ بعباده أن علق الصوم والإمساك على علامتين سماويتين يسهل تمييزهما هما طلوع الفجر، وغروب الشمس، وفي ذلك ضبط للوقت يستطيعه أي إنسان في أكثر مناطق العالم كما قال سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن رحمة الله بعباده أن منح الناس في رمضان وقتاً يعوّضون فيه كل ما فقدوه في صيام اليوم من حاجة الجسد، وذلك بإباحة الطعام والشراب والنكاح ليلاً، ومنعه منهم نهاراً، وبذلك يتمحض الصيام نفعاً خالصاً للإنسان بدنياً ونفسياً.

وفي تعيين شهر رمضان بالذات شهراً للصوم، دون ترك التعيين للإنسان ليختار شهراً معيناً لنفسه من السنة، فيه إشعار للمسلمين بوحدتهم، ومن تعويدهم النظام والانضباط والاستسلام لله ﷻ، وفيه فتح الباب لأعمال موحدة من الخير، ينال كل مسلم من المسلمين فيها نصيبه، وإعلان لدخول المسلمين جميعاً في يوم واحد مدرسة واحدة فيها الصيام والقيام، والبذل والإحسان، وتلاوة القرآن. (١)

(١) مجلة البيان، عدد ٣١٣، ص ٣٨، بتصرف واختصار.

[٢٤]

الدعوة إلى الله في رمضان

الدعوة إلى الله من أفضل القُرْبَات وأنفع الصالحات، وهي من أعظم الواجبات المحتّمات على كل مسلم بحسب ما آتاه الله من الإمكانات؛ ذلك أنها وظيفة الأنبياء والأولياء، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

والدعوة إلى الله قولاً أحسن الأقوال، والدعوة إلى الله عملاً أحسن الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فأفضل الخلق بعد رسل الحق سبحانه هم من يبلّغون كلمات الله لعباده، ويخلفون أنبياء الله تعالى في أممهم، فهم أولى الناس بنضارة الوجوه والفقّه في الدين، كما قال خاتم النبیین ﷺ: «نَصَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ غَيْرِ فِقْهِهِ، وَرَبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» (١).

وممارسة الدعوة يمتد توقيتها الزماني ليشمل العمر كله! ويتسع توقيتها المكاني ليشمل الأرض بأسرها! وهي تتأكد بعد

(١) أخرجه ابن ماجه بسند صحيح (٤٥/١).

ذلك في كل مكان وزمان فاضل!

ولقد علّم أنبياء الله تعالى الدعاة هذا المعنى الجليل، فقال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥].

وممارسة الدعوة في رمضان لم يكن لينقطع عن أسلافنا الصالحين، وإنما كان بعضهم ينقطع عن دروس العلم، لا الدعوة والوعظ والتذكير! وإحياء معاني التقوى في القلوب، وغرس الاهتمام بفقه التغيير وإصلاح النفوس.

فليس رمضان إلا محطة تزود بالصالحات، ومجاهدة للنفس على صالح العادات، واجتهاد في اكتساب الفضائل والحسنات.

ولا يخلو لسان الداعية في رمضان من تذكيرٍ بواجب السعي للتمكين وإقامة علّم الجهاد، وأسلافنا الصالحون ما تركوا الدعوة إلى دينهم بالحجة والبيان، ولا تركوا إزالة كل عائق يمنعهم عن ذلك بالسيف والسنان، وإلا فهل كانت وقعة بدر الكبرى ويوم الفرقان إلا في رمضان!

أيها الداعية الرمضاني:

هلمّ مع أهل المسجد إلى مدارس يومية لكتاب الله بعد

الفجر! وأقبل على درس تربوي عام بعد صلاة العصر، وشارك في إقامة التراويح بصوتٍ وأداءٍ مرضي، ونَبَّه إلى أحكام رمضان في الصيام والقيام، وذكّر بفضائل ليلة القدر واغتنام سائر العشر، وأكثر من توزيع المطويات والنشرات التي تذكر الخلق بأصول دينهم وتنبيههم إلى ما لا يتفطنون له من المخالفات والآثام، وظَّف طاقات الشباب من حولك، فقد أهلَّ علينا الهلال في وقت العطلة الصيفية، وهو توقيت ملائم للاجتهاد في العبادة والدعوة معًا.

ثم إن للمرأة الداعية نصيبًا أي نصيب! فهي تعمل بالخير وتسعى بالنصيحة بين بنات جنسها، وهي أنجح في هذا العمل من دعوة الرجال لها، فعلى المرأة الداعية أن تجتهد في طاعة ربها ونفع صديقاتها وقرباتها بإيصال الكتيب النافع، وإهداء الشريط المسجل والقرص الإلكتروني، وبجمع الصدقات وإيصالها إلى الأخوات المحتاجات، وهكذا تنوع سبل الدعوة في رمضان، فإذا شارف الشهر على الانتهاء فدعوة متأكدة لصلاة العيد والتذكير بصدقة الفطر والتنبيه على ما تمس الحاجة إلى بيانه من آداب العيد، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من العهد بعد رمضان.

الصيام رياضة ربانية

كُتِبَ علينا الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلنا، فبدلت الأمم أحكام الصيام، وحافظ عليها المسلمون كما أداها النبي ﷺ وأصحابه، وكانت معظم شعوب الدنيا، ترى أن الصيام هو الوسيلة الطبيعية للشفاء من كثير من الأمراض.

وقد انتبه الحكماء قديماً وحديثاً لفوائد الصيام؛ فقد أوصت به مخطوطات حكماء الإغريق، ومنهم سقراط وأفلاطون وأرسطو وجالينوس، وأكدوا أن الصوم هو الطريق الطبيعي للشفاء من الأمراض، والأطباء يجددون في العصر الحديث دعوتهم إلى الصيام بعدما رأوا النتائج المبهرة التي يقدمها هذا الصوم للإنسان في مواجهة مختلف الأمراض.

إن الدواء لكثير من الأمراض موجود في داخل كل منا، فجميع الأطباء يؤكدون اليوم أن الصوم ضرورة حيوية لكل إنسان حتى ولو كان يبدو صحيح الجسم، فالسموم التي تتراكم خلال حياة الإنسان لا يمكن إزالتها إلا بالصيام والامتناع عن الطعام والشراب.

يقول أحد الأطباء: يدخل إلى جسم كل واحد منا في فترة

حياته من الماء الذي يشربه فقط أكثر من مئتي كيلو جرام من المعادن والمواد السامة، كل واحد منا يستهلك في الهواء الذي يستنشقه عدة كيلو جرامات من المواد السامة والملوثة مثل أكاسيد الكربون والرصاص والكبريت. إن الحل الأمثل لاستئصال هذه المواد المتراكمة في خلايا الجسم هو استخدام سلاح الصوم الذي يقوم بصيانة وتنظيف هذه الخلايا بشكل فعال، وإن أفضل أنواع الصوم ما كان منتظمًا، ونحن عندما نصوم لله شهرًا في كل عام إنما نتبع نظامًا ميكانيكيًا جيدًا لتصريف مختلف أنواع السموم من أجسادنا.

*** الصوم أقوى سلاح ضد الاضطرابات النفسية:**

إن للصيام قدرة كبيرة لعلاج الاضطرابات النفسية القوية مثل الفصام والاكتئاب والقلق والإحباط، حيث يقدم الصوم للدماغ وخلايا المخ استراحة جيدة، وبنفس الوقت يقوم بتطهير خلايا الجسم من السموم، وهذا ينعكس إيجابيًا على استقرار الوضع النفسي لدى الصائم.

حتى إن الدكتور (يوري نيكولايف) مدير وحدة الصوم في معهد موسكو النفسي قد عالج أكثر من سبعة آلاف مريض نفسي باستخدام الصوم؛ حيث استجاب هؤلاء المرضى لدواء

الصوم فيما فشلت وسائل العلاج الأخرى، وكانت معظم النتائج مبهرة وناجحة! واعتبر أن الصوم هو الدواء الناجع لكثير من الأمراض النفسية المزمنة مثل مرض الفصام والاكتئاب والقلق والإحباط.

* الصوم يخفّض الشهوة الجنسية:

إن إنتاج الهرمون الجنسي يكاد يكون معدومًا أثناء الصوم، وهذا ما حدثنا عنه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

والوجاء هو رُضّ عروق الخصيتين؛ فيكون شبيهًا بالخصاء، وفي هذه الكلمة إشارة قوية وعلمية لانخفاض شهية الصائم الجنسية بسبب انخفاض هرمون الجنس عنده حتى الحدود الدنيا.

صيام المتقين:

إن هدف الصوم كما حدده القرآن الكريم هو الوصول إلى مقام التقوى، فقد ختم آية التكليف بالصيام بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وفي السنة المطهرة نجد للصوم دوره

(١) متفق عليه.

البارز في خفض تأثير الشيطان على ابن آدم، ف شهر رمضان بمثابة معركة بين الإنسان وأعدائه الألداء من الشياطين وأعدائهم، فالصيام من العبادات القليلة التي لا مجال للرياء فيها، وكان إغلاق أبواب جهنم، وفتح أبواب الجنان، وتصفيد الشياطين، كل ذلك من عون الله تبارك وتعالى للعبد، وتيسيره له حتى يخلص في عبادته، ولا بد للمرء من جهد يبذله، وعمل صالح يقدمه، والصوم يحاصر الشيطان ويضيق عليه مجاري العروق، فيحد من تأثيره على أعضاء جسد الإنسان، ووسوسته الخبيثة على نفسه، ف شهر رمضان يمثل حصارًا مستمرًا على الشيطان، ولو أداه ابن آدم كما ينبغي، ولم يمنع الطعام والشراب فقط، بل توقف عن الغيبة والنميمة، وأكل الربا، والخوض في الأعراض، وأكل السحت والمال المكتسب من الرشوة والحرام، وشهادة الزور، وقول الباطل، والانسحاق وراء المفاسد والشهوات، وتجنب المنكرات، وسارع إلى الخيرات، بل لو صاحب الصيام، طول القيام، مع تلاوة خالصة للقرآن، يعيش خلالها في رياض الذكر الحكيم، وقصص أنبياء الله الصالحين القانتين، فيشارف العبد على منازل الشهداء والصديقين.

إن الامتناع عن الطعام والشراب طوال شهر كامل يحقق

صيانة سنوية للجهاز الهضمي مع التضييق على الشيطان
وحركته في العروق، ويعرج بالروح إلى بلاد الأفراح، فتشتاق
الأرواح إلى دار السعادة في مقعد صدق عند المليك المقتدر،
فاللهم وفقنا لطاعتك في هذا الشهر الفضيل، وما بعده من أيام
عمرنا، وامتعنا بأسماعنا وقوتنا أبدًا ما أبقيتنا، واجمعنا مع
حبيبك ومصطفاك في الدنيا والآخرة.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضائل ليلة القدر

* ليلة القدر وعظم منزلتها:

فمن الليالي المفضلة ليلة القدر، وسميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله؛ ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الآجال والأرزاق والمقادير.

ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى أنزل فيها القرآن الكريم الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة. كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝﴾ [القدر: ١-٣]، وكما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝﴾ [٢] فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿[الدخان: ٣-٤].

* الخصام والشقاق وسيئ الأخلاق يضيع ليلة القدر:

ولا بد أن يتهيأ لها العبد بعدم التلاحي والخصام والسوء والخلاف والسب والطعن؛ حتى لا يُحَرَمَ خيرها، فعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقَالَ: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛

فَرَفَعْتُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَّكُمْ، التَّمَسُّوْهَا فِي السَّبْعِ وَالتَّسْعِ
وَالْخَمْسِ» (١).

*** الحكمة من إخفاء ليلة القدر وغيرها من أبواب
المثوبات:**

فإنه تعالى أخفى هذه الليلة، كما أخفى سائر الأشياء فإنه
أخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل، وأخفى الإجابة
في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات، وأخفى الاسم الأعظم
ليعظموا كل الأسماء، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على
الكل، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام
التوبة، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف، وكما أخفى
الرجل الصالح في الخلق حتى يظن الناس ببعضهم خيراً، وكما
أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة حتى يكثر الطالب، وكما
أخفى سخطه في المعصية حتى لا يستهان بمعصية، فكذا أخفى
هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان.

ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى قال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ
أَلْفِ شَهْرٍ﴾، وكأنها تعويض لأمة النبي ﷺ على قصر أعمارها؛
فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) البخاري (٤٩).

«أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك» (١).

* اجتهاد الصحابة في قراءة القرآن:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في رمضان في ثلاث وفي غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة، وعن أبي بن كعب أنه كان يختم القرآن في كل ثمان، وعن تميم الداري أنه كان يختمه في كل سبع، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يحيى الليل كله فيقرأ القرآن في كل ركعة.

وينبغي للعبد فيها إحياء الليل بالصلاة والإكثار من الدعاء في سجوده، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَجَوَدَ النَّاسِ، وَأَجَوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ؛ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجَوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» (٢).

فليلة القدر فرصة لختم الشهر بالطاعة، والتوفيق للدعاء والرضوان والهدى وإكمال الناقص من العبادة بالذكر والشكر والعفو، والنفقة والبذل والعطاء، والقيام وقراءة القرآن.

(١) الترمذي ٣٥٥٠ وحسنه الألباني.

(٢) البخاري ٣٥٥٤.

الجنة بين عمل العاملين ورحمة رب العالمين

إن الجنة هي سلعة الله الغالية، فيمضي السائرون في دروب الحياة على اختلاف آجالهم بُغية الوصول إليها، قد تتشعب بهم الطرق وينقسمون إلى فِرَق، لكن الغاية واحدة، والأمل المنشود ما زال عالقاً في شغاف القلوب يرنو إليها، إنها التي من أجلها يتنافس المحبون، ويسعى الكل إليها حتى العصاة والمذنبون، إنها الجنة، تلك الدرة المكنونة، والتي مهما تعالت تصوراتنا وحلقت بعيداً سنقف عاجزين عن تصور كنهها، ومهما جالت بنا الخواطر وبلغ منا الخيال متناه ستبقى تلك الخاطرة صعبة المنال.

وإذا كانت الجنة هي سلعة الله الغالية دأبت الدنيا بكل ما أوتيت من ملذات وشهوات لتصرفنا عنها حتى نظل أسارى لجنانها الفانية، لكن من يشتري تلك السلعة وبأي ثمن أبالمال أو بالنفس أو كليهما؟ وأين رحمة الله من كل ذلك وكيف تُنال، وأمام تلك التساؤلات يتخبط الركب ويتعذر الوصول، لكن الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأراحنا من مغبة التيه والضلال، فأنار لنا الدروب ودلنا على طريق الوصول لجنته ودار مقامته،

وإلى أن يأذن الله بدخول جنته ويتم علينا نعمته، فلتتزود ولو بالقليل عنها حتى نراها بعين الدنيا قبل عين الآخرة.

الآخرة خير وأبقى

سبحان من خلق الدنيا وزينها لعباده ودلهم على مرضاته لينالوها وعلى محرماته ليتجنبوها، لكن غابت العقول أمام ذلك الأتون المستعر من الملذات، فأضحت الدنيا غاية كل مفتون وسبيل كل مأفون لذلك قال بعض الحكماء: «الدنيا كالكأس من عسل وفي أسفله سم»، فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْفَقَى﴾ [النساء: ٧٧].

فوصف الله سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل، برغم أنها في نظر السواد الأعظم من البشر هي ذروة المتاع كله، ومنتهى النعيم، لكن أهل الصلاح وأصحاب العقول النيرة لا يخفى عليهم ذلك، قال الفضل بن عياض: لو كانت الدنيا ذهباً يفني والآخرة خزفاً يبقى، لوجب علينا أن نختار ما يبقى على ما يفنى.

ومهما بلغ الإنسان من الحظوة والجاه فلن يؤتى مثل ما أُوتي

سليمان عليه السلام حيث ملكه الله جميع الدنيا من إنس وجن، وسخر له الريح والطير والوحش فما عد ذلك نعمة ولا حسبها رفعة بل خاف أن يكون استدراجاً من الله، فقال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ١٩٢].

وقال عليه السلام: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». الحديث.

وخيرُ متاع الآخرة هي الجنة والتي لن ينالها إلا المؤمن التائب الصالح، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠]، كذلك الخوف من الله من الأمور الموجبة لدخولها، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، قال سلمة بن دينار: «ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدومه اليوم، وما كرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم».

منة الله لن تنال إلا برحمته

منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا والكل يسعى جاهداً إلى مضاعفة الأعمال، كل على قدر طاقته، فمنهم من ترفعه ليناطح الجوزاء، والآخر تهوي به إلى هوة ساحقة تُودي بصاحبها إلى الفناء، وكلا الضدين يحسب أن العمل وحده هو طريق

الوصول، وكأني ببعضهم يقول: ما بيني وبين الجنة إلا قيام الساعة، وهذا والله محض خيال، فكم أناس صارت أعمالهم كالجبال فصيرها الله هباءً منثوراً، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].
 وإذا كان الأمر كذلك فكيف السبيل إلى الجنة وأي المدارج نسلك؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لن ينجي أحداً منكم عمله». قال رجل: ولا إياك يا رسول الله، قال: ولا إياي، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ولكن سدّدوا» (١).
 ومعنى سدّدوا كما قال ابن رجب: السداد: هو حقيقة الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد كالذي يرمي إلى غرض فيصيبه. قال النووي رحمه الله: اطلبوا السداد واعملوا به وإن عجزتم عنه فقاربوه.

نعيم الجنة لا يزول

ألا إن كل نعيم في الدنيا لا محالة زائل، وتلك سنة الله في كونه، حيث كتب الفناء على كل شيء على نعيم الدنيا وعلى المنعمين به، لكن نعيم الآخرة باقٍ لا يعتريه الفناء، ولطالما

(١) رواه مسلم.

حفل قرآنا المجيد والسنة العطرة بأوصاف ذلك النعيم المقيم؛
 حتى نجتهد في العمل لننال من فضل الله، قال الله تعالى:
 ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ
 بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ
 الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
 أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا
 تَأْكُلُونَ ﴿[الزخرف: ٧٠-٧٣].

وقال أيضاً: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وإذا كانت هناك أنهار من ماء وعسل ولبن وكذلك الفاكهة،
 قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ
 ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ
 مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

وتلك المسميات موجودة بالفعل على الأرض، فهل
 يتعارض ذلك مع قوله ﷺ: «فيها ما لا عين رأت». والجواب:
 أنه لا تعارض فإن الله ﷻ وعدنا بنعيم لم نره ووعدنا الصدق،
 حتى وإن بقيت المسميات كما هي، فالتشابه يكون في الاسم

والجنس فقط، أما في الجنة فمغايرة تمامًا لأصلها على الأرض وذلك هو الإعجاز.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا من مشمر إلى الجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نورٌ يتلأأ وريحانة تهتز، وقصرٌ مشيد ونهر مطرد، وثمره نضيجة وزوجة حسناء جميلة.. ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة خضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية». قالوا: يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: قولوا: إن شاء الله، فقال القوم: إن شاء الله. رواه ابن ماجه والبيهقي وابن حبان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن». رواه البخاري.

فيا له من فضل عظيم ونعيم مقيم، لا يزول أبدًا، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يسمع قول لبيد بن ربيعة: ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ، يقول: صدق، وعندما يكمل الشطر الآخر: وكل نعيم لا محالة زائل، يقول: كذب، فإن نعيم الجنة لا يزول.

فاللهم إن قصرت بنا الأعمال فلنا في جنابك رحمة، وتلك
الرحمة التي تتجاوز معايير البشر لكنها رحمة رب البشر، إن
ربي بكل جميل كفيّل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.
والحمد لله رب العالمين.

* * *

من أسرار الرحمة في رمضان

لا شك أن رمضان موسم رحمة يرحم الله به الأمة، فيرفعها من الجهل إلى العلم، ومن التقصير إلى الطاعة، ومن الجفاء والبعد إلى القرب والمحبة، رحمة في الأوقات والأبدان، والمجتمعات، والله ربنا نفحات مباركات في هذا الشهر الكريم نعرض لبعضها في عجلة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١ - غفران ما تقدم من الذنب:

من رحمت الله تبارك وتعالى بالناس في شهر رمضان أن تفضل ربنا سبحانه وتعالى علينا بأنه من صام رمضان إيماناً به واحتساباً له غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنوبه جميعاً، فمن فضائل الصيام أنه من مكفّرات الذنوب لمن صام رمضان إيماناً بالله واحتساباً لله تعالى، قال النبي ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

ومن آثار صوم رمضان - الحسنة الجميلة - ارتباطه بطاعات أخرى كقيام الليل في رمضان، فإن فيه أجراً ومنزلة عظيمة، قال ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

ذَنِّهِ»^(١). وكذا لمن قام ليلة القدر، وهذا مشروط بالإخلاص في الأعمال والمتابعة للنبي ﷺ، واحتساب التعب والأجر عند الله سبحانه وتعالى.

وفي المقابل حذرنا رسول الله ﷺ من تضييع رمضان وخسارته، لئلا يكون الإنسان محروماً من رحمات الله الواسعة في شهر الرحمة، قال رسول الله ﷺ: «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حُرِم فيه رحمة الله»^(٢). نسأل الله أن يجعلنا من المرحومين.

٢- جماعية الطاعة:

لو أن الله تبارك وتعالى كلف كل واحد منا بصيام ٣٠ يوماً وحده وقيام ٣٠ ليلة منفرداً عمن حوله، لوجد صعوبة كبيرة وكان هذا العمل فيه مشقة عظيمة، ولكن من رحمة الله تبارك وتعالى بالأمة أن جعل الطاعة جماعية، ففي رمضان يصير الغالب على المجتمع حرصه على الصيام مع أعمال الطاعة والخير والبر، فالمساجد تمتلئ، وأعمال البر والصدقات يتسابق

(١) أخرجه البخاري (٣٧) واللفظ له، ومسلم (٧٥٩).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٤٩٠).

فيها المتسابقون، والأخلاق السمحة تُفرض نفسها، والكل يقرأ القرآن ويجلسون في المساجد، وما ذلك إلا بما أودعه الله في هذا الشهر من بركات، وتيسيره للناس سبل الخير عن غيره من الشهور.

٣- شهر حمية ورحمة للبدن:

من رحمة الله تبارك وتعالى بالعباد أن جعل الصيام وقاية وحماية وتنظيفاً للبدن مما فيه من سموم وأدواء، ففي الصوم صحة البدن، وخلوصه من الأخلاط الرديئة.

٤- رحمة في تحديد الزمن:

شاء الله سبحانه أن يجعل الشهر القمري رمضان محلاً للصيام، ولهذا الشهر علامته الكونية الكبيرة، القمر، بدءاً وانتهاءً يحمل في طياته عوامل الوضوح والثبات، فلا تستطيع سلطة أو جماعة أن تخفيه أو تحرف المسلمين عنه، قال النبي ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ» (١).

٥- نداء رمضان: يا باغي الخير أقبل:

إن أبواب الأجر في الإسلام كثيرة، وإن أسباب اكتساب

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٠٨١).

الحسنات متعددة، وفي شهر رمضان تتضاعف أجور الأعمال الصالحة، فضلاً من الله - ﷻ - على عباده، وينادي مناد في أول ليلة من رمضان فيقول: «يا باغي الخير! أقبل، ويا باغي الشر! أقصر» (١).

فالأيام صحائف الأعمار، والسعيد من يخلدها بأحسن الأعمال، وراحة النفس في قلة الآثام، ومن عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه، وفي هذا الشهر المبارك المنزل فيه القرآن العظيم المتعدد فيه طلب أنواع المغفرة من التوسع في المعروف والبذل والدعاء وتفريج الكربات والإكثار من العبادات، إلا أن بعض الناس أرخص لياليه، وأرهق فيها بصره مع الفضائيات، يعيش معها في أوهام، ويسرح فكره حولها في خيال ويتطلع لها لعل فيها سعادة السراب، فإذا انقضى شهر الصيام لا لمال فيه جمع، ولا للآخرة ارتفع، ربح الناس وهو الخاسر.

٦- فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النيران:

ومن رحمة الله بعباده في رمضان أن ساعدهم على الطاعات وهياً لهم الوسائل المعينة على ذلك، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت

(١) رواه الترمذي والنسائي وحسنه الألباني.

أبواب النار وصفدت الشياطين" (١). ففي شهر رمضان المبارك يفتح الله سبحانه وتعالى أبواب الجنة على مصراعيها لكل تائب توبة نصوحة وفق شروطها الشرعية المعتمدة وتعلق بوجهه كل أبواب الجحيم.

٧- تصفيد الشياطين ومردة الجن:

ومن رحمة الله تبارك وتعالى بالناس في شهر رمضان المبارك أن الله سبحانه وتعالى يصفد الشياطين الذين يسعون في الأرض فسادًا. ففي الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتَحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ فَلَا يَخْلُصُونَ فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَى غَيْرِهِ.

٨- الاستيقاظ بالأسحار:

الليل واحة المتقين، تجتمع فيه شتات الهموم، وتصفو النفوس ويتوجه العبد للقاء الحي القيوم، والسَّحَر وقت شريف، يقترب الله جل وعلا من عباده، لعلهم يتوبون أو يناجون ربهم ويُزَلُّون حاجتهم به، ويستغفرونه ويتوبون إليه، ولكن كثيرًا من المسلمين طوال العام يكونون نائمين في هذا الوقت الشريف،

(١) متفق عليه.

فإذا جاء رمضان قاموا إلى السحور فذكروا ربهم وصلوا ركعتين في جوف الليل ودعوا ربهم واستغفروه.

يقول النبي ﷺ: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له" (١)، استجابوا لنصيحة نبيهم ﷺ حين نادى فيهم: "أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر؛ فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن" (٢).

ولما سُئل الحسن البصري رحمه الله: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: "لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره" (٣).

وما أروع ليل رمضان، يتقلب العباد بين أنوار الساعات المباركة في ساعات رمضان، فتتهتز قلوبهم من روعة المشهد ولذة الإيمان، فتنسب الدموع.

(١) متفق عليه.

(٢) صحيحه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٣٥٧٩).

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٤/ ٤١٢).

[٢٩]

أحكام زكاة الفطر

* حكمها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» (١).

وصدقة الفطر هي ما يخرجها المسلم من ماله للمحتاجين طهرةً لنفسه، وجبراً لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه، لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين» (٢).

* على من تجب الزكاة:

وهي فريضة على الكبير والصغير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين؛ لحديث ابن عمر السابق. ولا تجب عن الحمل الذي في البطن إلا أن يتطوع بها فلا بأس، فقد كان أمير

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود بسند جيد.

المؤمنين عثمان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل، ويخرجها المسلم عن نفسه وكذلك عمن تلزمه مؤونته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها عن أنفسهم لأنهم المخاطبون بها أصلاً.

ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته، فإن لم يجد إلا أقل من صاع أخرجه لقوله تعالى: ﴿فَانْفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقول النبي صلّى الله عليه وآله: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (١).

* حكمة الزكاة:

وأما حكمتها فظاهرة، ففيها إحسان إلى الفقراء وكفّ لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم به ويكون عيداً للجميع. وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة، وفيها تطهير الصائم مما يحصل في صيامه من نقص ولغو وإثم. وفيها إظهار شكر نعمة الله بإتمام صيامه شهر رمضان وقيامه وفعل ما ييسر من الأعمال الصالحة.

* جنس الواجب في زكاة الفطر:

وأما جنس الواجب في زكاة الفطر فهو طعام الأدميين من

(١) متفق عليه.

تمر أو بُر أو أرز أو زبيب أو أقط (وهو اللبن الذي لم تنزع زبدته) أو غيرها من طعام بني آدم.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعامنا؛ الشعير والزبيب والأقط والتمر» (١). ولا يجرى إخراج القيمة عند جمهور العلماء؛ لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».

ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين فلا يجرى إخراجها من غير الجنس المعين كما لا يجرى إخراجها في غير الوقت المعين، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم عيَّنَها من أجناس مختلفة، وقيمتها مختلفة غالباً، فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعاً مما يقابل بقيمته من الأجناس الأخرى.

ولأن إخراج القيمة يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفية، فإن إخراجها صاعاً من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير يشاهدون كيلها

(١) رواه البخاري.

وتوزيعها ويتبادلونها بينهم، بخلاف ما لو كانت دراهم يخرجها الإنسان خفية بينه وبين الآخذ.

* مقدار زكاة الفطر ووقت الوجوب:

وأما مقدار الفطرة فهو صاع بصاع النبي ﷺ وهو عبارة عن كيلوين وأربعين جرامًا من البرّ توضع في إناء بقدرها بحيث تملؤها ثم نكيل به. وأما وقت وجوب زكاة الفطر فهو غروب الشمس ليلة العيد. فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا.

* وقت إخراجها:

وأما وقت إخراجها فوقتان: وقت فضيلة، ووقت جواز.

١ - فأما وقت الفضيلة: فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نخرج في عهد النبي ﷺ يوم الفطر صاعًا من طعام»، وفيه أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: «أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة»^(١).

٢ - وأما وقت الجواز: فهو قبل العيد بيوم أو يومين، ففي صحيح البخاري عن نافع قال: كان ابنُ عمر يعطي عن الصغير

(١) رواه مسلم وغيره.

والكبير حتى إن كان يعطي عن بَنِي (أولاد نافع الراوي عن ابن عمر)، وكان ابن عمر يعطي الذين يقبلونها وكانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، فإن أخرها عن صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ.

* المستحقون لزكاة الفطر:

والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء ومَنْ عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها فيُعْطَوْنَ منها بقدر حاجتهم.

ويجوز توزيع زكاة الفطر على أكثر من فقير ودفعُ عدد من الزكاة إلى مسكين واحد، لأن النبي ﷺ قدَّر الواجب ولم يقدر من يُدفع إليه، وعلى هذا لو جمع جماعة فطرهم في وعاء واحد بعد كيِّله وصاروا يدفعون منه بلا كيل ثانٍ؛ أجزأهم ذلك. ويجوز للفقير إذا أخذ الفطرة من شخص أن يدفعها عن نفسه أو أحد من عائلته، إذا كالهأ أو أخبره دافعها أنها كاملة ووثق بقوله.

والحمد لله رب العالمين

[٣٠]

وصايا وتنبيهات في ختام شهر رمضان

أولاً: الانتباه للعمر والحذر من الدنيا:

إن من ملامح الختام أن يتذكر الإنسان خواتيم الأعمال وخواتيم الأعمار، وألا يغفل عما يحمل من الآثام والأوزار، فكل شيء عند الله بأجل مسمى ومقدار، والعاقل من انتبه وأخذ أهبطه واستعد لسفر طويل وإقامة طويلة في القبور، فيعمل لهذا اليوم ولا تشغله الدنيا بغرورها.

ثانياً: الجمع بين الإحسان والخوف:

إن من تأمل أحوال الصحابة والتابعين وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، فقد جمعوا بين الإحسان والخوف، وقد كان هذا منهج السلف رحمهم الله تعالى في العبادة والمعاملة، يحسنون في أعمالهم، ويتقون الله ما استطاعوا ولا يُعجبون بعمل ولا يُفتنون بحب رياء ولا ظهور ولا محمدة الخلق.

فهذه أم المؤمنين تظن أن الخائف ذي القلب الوجل هو إنسان أتى من الموبقات والكبائر ما يسخط الله عليه، ومثله يحق له الخوف، بل يجب، فصَحَّ لها النبي ﷺ الفهم وأرشدوا إلى

أن المتقين من عباد الله يجمعون مع الإحسان خوف عدم القبول^(١).

ولما لا؟ وقد خاف إبراهيم الخليل عليه السلام ورجا وطمع في القبول قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ثالثاً: علامة القبول:

إن أبين علامة على القبول هي استمرار العبد على الخير والعمل الصالح بعد رمضان. قال بعضهم: «ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها».

رابعاً: بماذا نختم شهرنا؟

أمر الله تعالى عباده أن يختموا أعمالهم العظيمة بالاستغفار والتوبة، فبعد كل صلاة استغفار، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

(١) رواه مسلم.

قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (١).

وإن العبد ليتحسر على تفريطه، فبالأمس كنا ننتظر رمضان،
وها نحن الآن نودعه، وهكذا تمضي الأعمار، وإنما العبد جملة
من أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضه. هذا رمضان يمضي، كما
كان بالأمس يأتي، فسبحان من قلب الليل والنهار، وأجرى
الدهور والأعوام، وفي ذلك معتبر للمعتبرين، وموعظة للمتقين.

خامسًا: أعمال ليلة العيد:

أمر الله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره
فقال سبحانه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا
هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فشكر من أنعم
على عباده بتوفيقهم للصيام، وإعانتهم عليه، ومغفرته لهم به،
وعتقهم من النار: أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته. وقد
فسر ابن مسعود تقواه حق تقاته: «بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر
فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر» (٢).

(١) رواه مسلم ٥٩١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٤٤٦/٢ وهو صحيح موقوف.

والتكبير مشروع من غروب الشمس يوم العيد إلى صلاة العيد، يجهز به الرجال في المساجد والأسواق والبيوت كما كان السلف يفعلون.

ومن السنة: أن يأكل قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر تمرات وترًا، ثلاثًا، أو خمسًا، أو أكثر من ذلك، يقطعها على وتر؛ لقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا» (١).

وتخرج النساء لصلاة العيد، غير متبرجات بزينة، غير متعطرات، يحضرن الصلاة والذكر.

ثم إن كثيرًا من الناس بمجرد إعلان العيد يخرجون للأسواق، فتضيع ليلة العيد في التجوال في الأسواق، مع ما تعجب به من منكرات، فلا يسلم روادها من الوقوع في الإثم والمنكر.

* نداء لمن أساء في رمضان:

يا من أساء في رمضان وفرط وضيع إياك أن تياس فإن رب رمضان هو رب سائر الأيام، ومتى رجعت إليه تائبًا نادمًا قبلك، ولم يردك، فلا يغرنك الشيطان بأنك أضعت مواسم الخير، واعلم أن ربك واسع المغفرة لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا.

(١) رواه البخاري (٩٥٣).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
١ - صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته	٥
٢ - رمضان شهر القرآن	٨
٣ - فضائل شهر رمضان	١٢
٤ - الحكمة من صيام شهر رمضان	١٨
٥ - الآداب الواجبة للصائم	٢١
٦ - الآداب المستحبة للصائم	٢٣
٧ - بعض الحُكَم الظاهرة لتشريع الصيام وفرضه	٢٩
٨ - حكم صيام المريض الذي يرجى برؤه	٣٣
٩ - حكم صيام الحائض والنفساء	٣٥
١٠ - من احتاج إلى الفطر لدفع ضررٍ عن غيره	٣٧
١١ - آداب وتوجيهات للصائمين والصائمات	٤١
١٢ - من أحكام صلاة التراويح	٤٥
١٣ - بدع القنوت في رمضان	٥٠
١٤ - بدع ومخالفات تقع في رمضان	٥٣
١٥ - مباحات الصيام	٥٥

١٦ - مفسدات الصوم	٥٩
١٧ - الدعاء في رمضان	٦٢
١٨ - من خصائص أمة الإسلام في رمضان	٦٦
١٩ - رمضان شهر الانتصارات	٧٠
٢٠ - فضائل العشر الأواخر من رمضان	٧٤
٢١ - فضائل الاعتكاف في المساجد وآدابه	٧٨
٢٢ - من علامات الصوم المقبول	٨٧
٢٣ - خواطر حول حكم الصيام	٩١
٢٤ - الدعوة إلى الله في رمضان	٩٤
٢٥ - الصيام رياضة ربانية	٩٧
٢٦ - فضائل ليلة القدر	١٠٢
٢٧ - الجنة بين عمل العاملين ورحمة رب العالمين	١٠٥
٢٨ - من أسرار الرحمة في رمضان	١١٢
٢٩ - أحكام زكاة الفطر	١١٨
٣٠ - وصايا وتنبيهات في ختام شهر رمضان	١٢٣
الفهرس	١٢٧